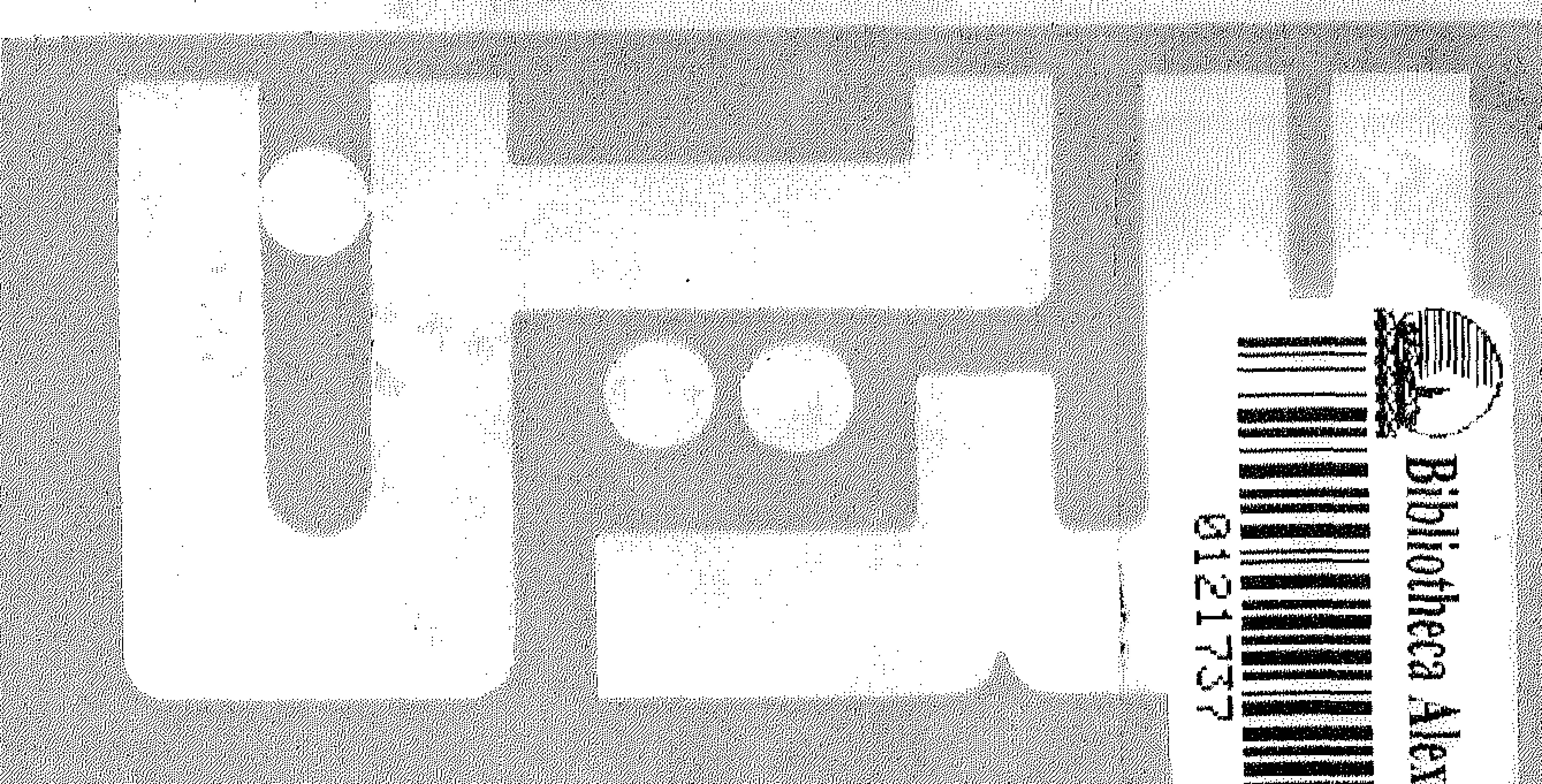
مختارات
التعاون
العالمية



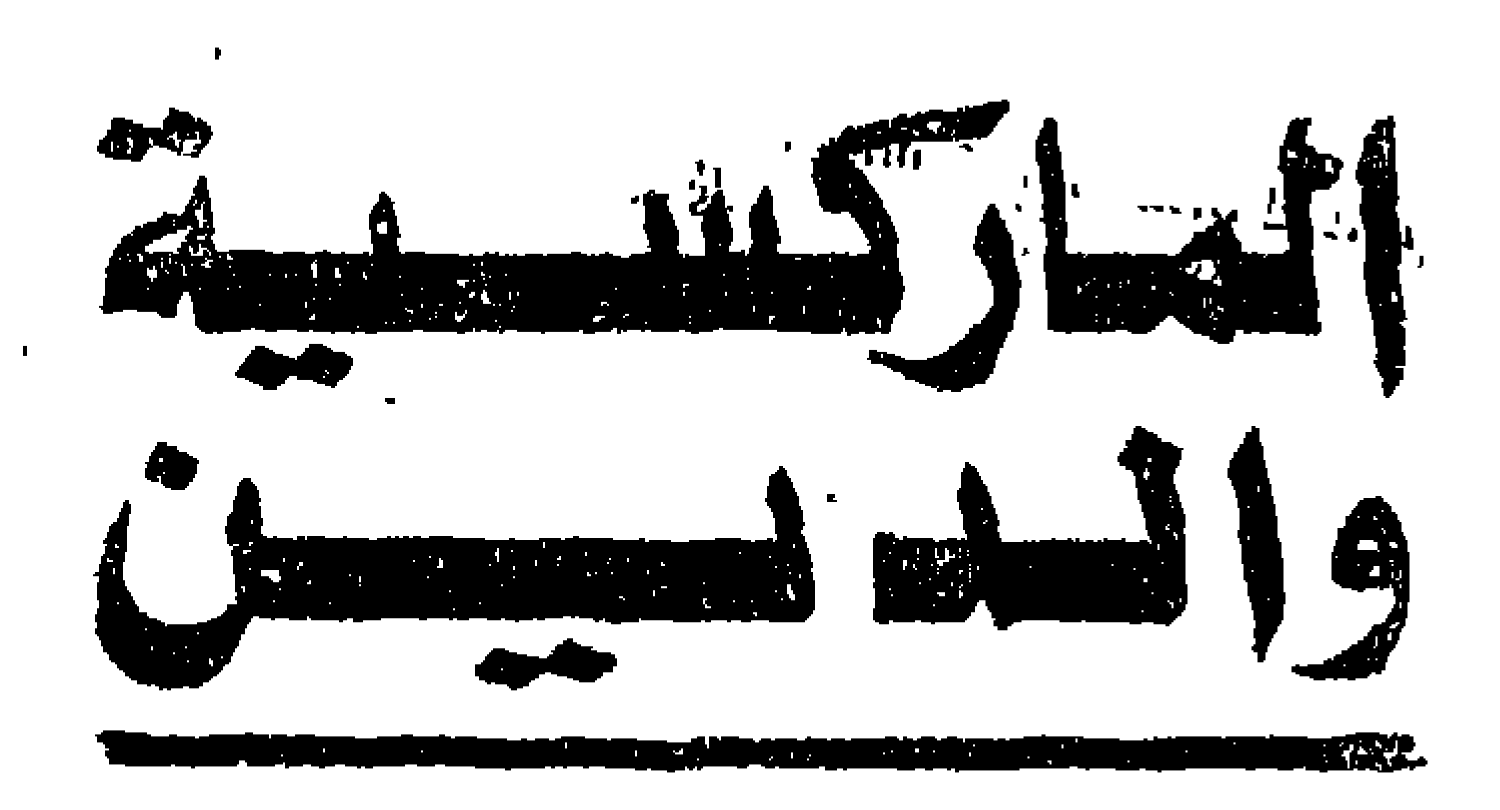


Bibliotheca Alexandrina
0121737

32

د. رشدى فكار

مختارات التعاون العالمية



الماركسية والدين

دكتور رشدى فكار

□ **الطبعة الأولى**

(المغرب ـ ١٩٧٧)

□ **الطبعة الثانية**

(دار التعاون ـ ١٩٧٨)

مع اضافات من الحوار الذى أجراه الكاتب الصحفى على الدالى مع المؤلف عن الصراع الطبقى، ومدوقف المثقفين العرب ، وعن الرفض المستورد وكيف انتشر بين الشباب ، وعن أزمة الماركسية فى العالم والوفاق بين الاتحاد السوفيتى والصين ، وما هو المستقبل .

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

مركز الدراسات الصحفية

مختارات التعاون العالمية

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير العام :

ممدوح رضا

رئيس التحرير التنفيذي :

عبد القادر السعدي

المدير الفني :

جميل شفيق

سكرتير التحرير :

سيد قنديل

المراسلات
دار التعاون - ٦ شارع عبد القادر حمزة
جاردن سيتي - القاهرة

تمهيـــد

هذه كلمة لا بد منها ·· قبل أن تقرأ للدكتور رشـــدي فكار آراءه العلمية التى هى آراء عالم متخصص تناقش كل كلمة يسطرها على الورق فى أوربا بين علماء مثله ·· تخصصــــــــوا فى العلوم الانسانية وفى أصول النظريات الفكرية والنظريات التورية !

انه مفاجآة هذا العام الثقافية فى مصر والعـــــالم العربى والاسلامى ·

والدكتور رشدى فكار مؤلف هذا الكتـــاب هو المفكر المصرى العالمى المرشح لجائزة نوبل فى الآداب هذا العام رسميا ·· أى أنه ببساطة أهم عقل بشرى من وجهة نظر الدارسين للفكر البشرى فى العالم الثالث ، فهو العالم والمفكر الثانى من العالم الثالث بعد طاغور شاعر الهند المعروف والذى يتم ترشيحه لجائزة نوبل من خـــلال هيئات عالمية باستثناء اليابان أى أنه أصبح أهم مفكر مصرى الآن ·· فتلك مفاجأة !

مصرى من قرية صغيرة فى صـــــعيد مصر وينتمى للفكر الاسلامى · وقد عاش فى الخارج طوال ربع قرن بين أوربا والمغرب العربى كأستاذ متخصص فى العلوم الاجتماعيـــة وفى علم النفس وكأستاذ فى جامعة محمد الخامس فى المغرب العربى وترشـــيحه لجائزة نوبل معناه أن مصر العربية الاسلامية قد أصبح لها واجهـــة حضارية حديثة أمام العالم ·· فهو ينقل الفكر العربى الاسلامى من المحلية الى العالمية ·· أى أن مأساة الركود الحضارى من حول الفكر العربى الحديث تتبدد الآن وينشـــط هذا الفكر من خلال عقول

وعبقريات مصرية مثل الدكتور رشدى فكار الذى استطاع اثبات الذات للشخصية المصرية المسلمة فهو خريج الازهر الشريف ٠٠وقد أثبت رشدى فكار هذه الذات على مستوى العالم اليوم !

انه يحفظ القرآن ٠٠ فهو ينتمى كما قال لى للاسلام وكتابه « تأملات فى الاسلام » بالفرنسية قرأه أحد رؤساء الجمهوريات فى أفريقيا فاعتنق الاسلام وأعلن أن كتاب الدكتور فكار أقنعه بآن الاسلام هو دين الحق ٠٠

و د٠ رشدى فكار أستاذ جامعى زائر فى جامعات سويسرا والسويد الى جانب عمله كأستاذ فى جامعة محمد الخامس بالمملكة المغربية ٠

وهو عضو الاكاديمية الفرنسية لما وراء البحار (مجامع الخالدين) فى باريس وعضو الهيئة العالمية للكتاب بالفرنسية وهو فى رأى علماء العالم الاوربى أحد خمسة علماء فى العالم تخصصوا فى أصول الماركسية والمذاهب الاشتراكية (١) وهو متخصص فى علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا الاجتماعية بعد تخصصه فى الاسلاميات !!

وقد حصل على درجة الدكتوراة من جامعة باريس عام ١٩٥٦ مع مرتبة الشرف الاولى ثم تابع أبحاثه وعمله الجامعى كمحاضر وأستاذ زائر فى الجامعات الاوربية حتى حصل على درجة التأهيل للاستاذية مع دكتوراة دولة أخرى عام ١٩٦٧ ٠

وينتسب د٠ رشدى فكار بالعضوية لاكثر من ٢٥ مؤتمرا

---

(١) هؤلاء العلماء الخمسة هم : « فرانك » الانجليزى و « تريف » الايطالى و « جورفيتش » الفرنسى و «بوخانكى» السويسرى ومدير جامعة فريبور بسويسرا ثم رشدى فكار ٠

وأكاديمية عالمية فهو الى جانب عضويته كعالم مشـــارك فى مجامع الخالدين فى فرنسا عضو أيضا فى جمعية (استرندبرج) السويديه وهى أكبر جمعية أدبية فى السويد !!

وقد تم اقرار ترشيحه لجائزة نوبل فى الأداب لدىالاكاديمية السويدية وأقرت لجنة نوبل للقراءة هذا الترشيح واحتفل العـالم الاسلامى بهذا الانتصار الثقافى للفكر العربى ممثلا فى رشــــدى فكار خلال احتفال كبير فى الرباط تحدث فيه كل ممثلى العــــرب والسفير المصرى وسفير الســـــويد ٠٠ ونشرت الصحف العربية والاجنبية هذا النبأ ثم عندما نشر فى مصر هاجمته احدى الصحف اليومية بدون سبب ٠٠ ثم قيل ان الهجوم مدسوس على الجريدة !!

ثم اعتذر المسئولون فى الجريدة اليومية للدكتور فكار عندما جاء أخيرا لمواجهة هذا الهجوم وكنت معه فى زيارته لتلك الجريدة الكبرى !!

كان من العجيب أن المفكرين والادباء المصريين الكبار لم يرحبوا بانتصار عبقرى مصرى فى ســــباق الفوز بأعظم جائزة آدبية فى العالم !!

ما معنى ذلك ؟؟

ان معنى هذا هو وجود كهنوت فكرى وأدبى فى مصر ٠٠

ان د٠ رشدى فكار يواجه التيار الفكرى السياسى المستورد في مصر والبلاد العربية مواجهة علمية ومن خلال الوثائق الاصـــلية للباحثين العالميين فى أصول الماركسية وهو بذلك يضع(الماركسية) فى ميزان جديد ٠٠ انه يقول فى كتابه عن الماركســـية والدين آن كارل ماركس مرتد ٠٠٠ !!

ما معنى ذلك ٠٠ ؟؟

معنى ذلك أن كارل ماركس ليس ماركسيا ٠٠٠ !!

كيف ؟؟

لانه بارتداده من خلال الوثائق التى يقدمها رشدى فكار قد أقام نظريته على أساس خاطىء وليس على أساس علمى ٠٠ فالماركسية اذن ليست نظرية علمية !!

بل أكثر من هذا ٠٠ ان الدول الشيوعية الآن تعيد النظر فى النظرية !

وهنا خطورة هذا البحث العلمى الجديد الذى يقدمه هــذا العالم الكبير فى هذا الكتاب فهو يقول ٠ (هذه الماركسية بالنسبة لمتخصص نزيه فى الماركسولوجيا هى مجرد واجهات وشعارات استهلاكية ٠٠ !!

ثم يقول :

(ان التخصص فى الماركسية كلفه (أى رشدى فكار) من العمر زهرته ٠٠ فقد قاربت الآن تلك الاعوام التى تخصص خلالها فى الماركسولوجيا ما يقرب من ربع قرن) ٠

ومعنى ذلك كما يقول أن تقييمه للماركسية ليس جزافيا أو عفويا وانما نتيجة معايشة فكرية لاصول الماركسية كمتخصص وباحث ٠

ثم يتحدث عن موقفه هو نفسه من الدين فيقول :

(الدين قد احتضننا فى طفولتنا وفتوتنا لنكون من رجاله فعرفنا مجاورة الازهر الشريف وممراته وحصره وأروقته وفقهائه وحفظنا القرآن الكريم وأحاديث الرسول الامين كأى طفل فى قرية مجهولة من قرى أمتنا العربية الاسلامية وعاصرنا أوراق الكتب الصفراء ومراجعتها تحت ظلال أضواء المنافذ الضيقة التى لا تسمح بدخول شعاع الشمس الا بمقدار وجسدنا ملتصق بالارض رمزا

للصبر والاصرار ••• فلسنا غرباء على الدين ولسنا متطفلين على الماركسية) •

ود• رشدى فكار يسأل خلال حوار معى نشر منذ أكثر من عام (١) عن المذابح بين المسلمين •• لماذا وقعت ؟؟

ولماذا اختلف المسلمون ؟؟

وحكموا السيف فيما بينهم ؟؟

ولماذا لم يعصمهم القرآن من الزلل •• ؟؟

حتى ذهبت دولتهم نتيجة لهذا الصراع الدموى !؟

ويرد الدكتور رشدى فكار على هذا السؤال فيقول :

ان طبيعة المؤمن الصادق فى ايمانه الالتزام ••

وقد مات عليه السلام فكان على صحابته أن يسيروا بدعوته لاعلاء كلمة الله •• والالتزام كان مبدأ الجميع •• وهنا نصل الى طرح التساؤل الهام والذى ظل حتى اليوم يتردد مضمرا فى الافئدة يوجس فى القلوب المريضة أو الضعيفة ويزلزل النفوس المتأرجحة •

هذا التساؤل هو : كيف يفتن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من بشر بالجنة ؟؟

ثم يتفرق هؤلاء الصحابة ••

وقد أكد القرآن أن من يفرق كلمة الدين الرسول منه براء •• « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء (٢) » •

وكيف يقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم

---

(١) كتاب مصريون فقط ـ الناشر : دار الشعب ـ فبراير عام ١٩٧٦•

(٢) سورة الانعام •

بعضا والاسلام عرفنا بمصير القاتل فى جهنم وبئس المصير !؟؟

كيف يبشر بالجنة ويؤهل بعمله لجهنم فى نفس الوقت ؟؟

هكذا حاول البعض أن يطرح التساؤل مغرضا أو متجاهلا أو جاهلا أو متسرعا ٠٠ نعم ٠٠ كيف أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرب أعزائه يصلون الى هذا المستوى وهم فى هـــذا العهد القريب من ظهور الاسلام ؟؟

وما زالت روائح الرسول العطرة الطاهرة ووجهه المشرق المنير وأصداء صوته الخالد تغمر ســـماء الجزيرة العربية ٠٠ نعم كيف ؟؟

عثمان ٠٠ عائشة ٠٠ على ومعاوية ٠٠ وبقية أحباب رسول الله عليه السلام يقاتل بعضهم بعضا ٠٠ ووجها لوجه ؟؟

كل هذا يحدث بعد أعوام من نزول الوحى وقبر الرســول عليه السلام على بعد أمتار ؟؟

وتستمر التساؤلات ٠٠ من بعد واحد دون أن تطرح بقيــة الابعاد ٠٠ قالوا فتنة كبرى ٠٠

كيف ؟؟

وكيف أن الاسلام لم ينته مع ما أسموه بالفتنة الكبرى !؟؟

هذا سؤال ٠٠

يجب أن نبتعد عن تسمية ذلك بالفتنة الكبرى مع تقــديرنا الكامل لمن تبنوا هذا كعنوان تاريخى لهذه المرحلة ٠٠

انها (المواجهة الكبرى للدعاة ٠٠٠)

أما كونها فتنة ·· فهى فتنة كبرى للادعياء ·· ؟؟ (١) أما الصحابة فلم يفتنوا ··

والاصرار على كلمة أو مفهوم (فتنة كبرى فى الاسلام) لن يستفيد منه غير دعاة الفتنة فى كل العصور ·· انه فقر فى الفكر وضعف فى التحليل لعلمية التاريخ وفلسفته ممن يبثون رياح الشك عن قصد أو عن غير قصد فى قلوب المسلمين والشك فى قلوب من يميل الى الإسلام ويسعى اليه ·· !!

ولقد آن الاوان ان أردنا للاسلام أن يعرف تاريخه فى اطاره الصحيح لا من خلال تصورات قاصرة أو مغرضة أو سطحية أن نسمى الأمور بمسمياتها ومن ثم نؤكد أنها ليست فتنة كبرى انما هى مواجهة كبرى ·· من منطلق الحق والاصرار والالتزام ·· لاعلاء كلمة الله والاستشهاد فى سبيل ذلك ·· ولو بالتصدى لاقرب الاقرباء وأعز الاعزاء تمسكا بقوله تعالى : « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به (٢) » ·

ان صحابة رسول الله لم يفتنوا وما كانوا ألعوبة فى يد الاحداث ولا طلابا لمتاع الدنيا ·· لقد وقعت المواجهة بينهم غيرة على مسئولية وضعت فى أعناقهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

كل منهم اعتبر نفسه مسئولا أمام الله ونبيه الكريم الامين ·· لذلك نحن نطالب بتغيير العنوان من (فتنة كبرى) الى (مواجهة كبرى) لاظهار الوجه الصحيح لتاريخ هذه الفترة الخالدة التى لم يشهدها الا أبطالها !!

---

(١) كتاب مصريون فقط ـ دار الشعب ـ ص ٦٢ ·
(٢) سورة الانعام ·

أما الاجيال التالية بعد ذلك فقد صورت لها هـذه الفترة من خلال أهواء المؤرخين ونزعاتهم وانتماءاتهم بل وخلفيـــاتهم المقنعة ونضيف الى ذلك أن التاريخ فى حد ذاته رغم نسبيته لم يصل الينا كاملا لضياع جانب من مصادره عبر الاحقاب والعصـــور ومن ثم فالتاريخ لهذه الفترة رفع ليكتب نسبيا ٠

ومع ذلك ٠٠ فنحن نرى اليوم أتباع ايدولوجية من صـــنع البشر تقع بينهم المواجهة ليس فقط على مستوى الافراد وانما عـلى مستوى الامم (الصين والاتحاد السوفيتى) وكل يصر على أن رايه الحق معه ملتزما بولائه دون ذكر تعبير (فتنة) فلم نسمع بفتنـــه كبرى بين الصين والاتحاد السوفييتى وانما مواجهات كبرى اذ كل يؤكد أنه الوفى والاكثر ولاء لعقيدته ٠٠

ويتساءل رشدى فكار بعد ذلك فى حوار معى : كيف نسلم بذلك بالنسبة لهم وننكره بالنسبة لصحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ٠٠

وهم الاصفياء فنقول بألسنتنا انهم فتنوا ؟؟ (١) ٠

وشتان بين عقيدة دنيوية (الماركسية) قد تؤهل للفتنة وبين عقيدة روحية أخروية تسمو بكل مآرب الانسان ونزعاته لذا نرى أنه اذا كانت هناك فتنة كبرى مزعومة فى الاسلام فهى فتنة الادعياء وليست فتنة الدعاة ٠٠ فتنة الادعيـــاء التى خرجت من عقولهم وحملوها للتاريخ بعد أن يئسوا من تحقيق أهدافها ٠٠ !

ولكن قد يطرح تساؤل علينا فى صورة معقدة وهى :

---

(١) للدكتور رشدى فكار رأى حول هذه القضـــية فيقول لى أن المستشرقين الذين أضمروا الحقد للاسلام هم الذين دســوا هذا التعبير على المفـــكرين العرب فى العصر الحديث !٠

لكن السؤال : لماذا استجاب هؤلاء العرب للحاقدين على الاسلام ؟!٠

كيف يحدث هذا لصحابة رسول الله ولماذا لم يكتشفوا الكيد والدس ولماذا أعطوا الفرصة للدخلاء ·· ؟؟

ونرد على التساؤل : أن الصحابة ليسوا ملائكة نورانيين لكنهم بشر فاذا كانت بشرية الانبياء قد جعلتهم فى بعض المواقف يكونون موضع عتاب ومعاتبة من رب السماء ثم نراهم يطلبون العفو لانهم بشر فمن باب أولى نقبل هذا من الصحابة والدعاة ·· لان النية هى الاساس ··

ومرة أخرى ان كانت هى فتنة الادعياء وليست فتنة الدعاة لان الدعاة لا يفتنون ··

هى فتنة الادعياء لانهم من خلالها يبثون سمومهم وينشرون خداعهم (١) ويزاولون نفاقهم وغشهم حبا فى متاع الدنيا ووصولا الى زينتها ·· والخصوم تصوروها (المواجهة) نزاعا يعيدهم الى حماسات الجاهلية يروون به انفعالاتهم ونشوتهم الى القتال والاعداء المضمرون استغلوها فرصة لينالوا من الاسلام باجرامهم وشيطنتهم والكفار استبشروا بها كنهاية لديننا واعلاء كفرهم المبين ·· ولكن ماذا كان محصلة المواجهة الكبرى فى الاسلام ولا نقول مع الادعياء (الفتنة الكبرى) ؟؟

لقد امتصت هذه المواجهة الكبرى فى صدر الاسلام كل هذا وخرج الاسلام من المواجهة أكثر قوة وبنيته أكثر صلابة ··اتسعت أرضه وعلت رايته فى كل بقاع الارض وعاد الادعياء الى جحورهم والفتنة تملأ قلوبهم بعد أن ضاع أملهم فى أن يجعلوا منها فتنة دائمة يحققون من ورائها أطماعهم ·· واكتفوا بالقائها لنا فى موكب

---

(١) هو يقصد بذلك رجال الفكر الذين تحيط بهم الشبهات حول اخلاصهم للاسلام ا·

التاريخ لتساعد كمثال أرادوه على فتن أخرى كبرى ٠٠ وصغرى ٠٠ في مستقبل القرون !!

والى هنا من هذا الجزء من الحوار الذى نشر فى كتاب (مصريون فقط) نستطيع أن نتعرف على عقل د٠ رشدى فكار كمفكر اسلامى ٠٠ ثم ننتقل معا لنتعرف عليه كباحث ومتخصص فى الحضارات ٠٠ وما هو مستقبل المسلمين والعرب ؟؟ انه يقول (١) ٠

نحن نعيش فى نهاية دورة تراثية لامتنا العربية الاسلامية ونشهد فى نفس الوقت ارهاصات دورة تنظيمية حضارية لهذه الامه والتى تنتمى اليها مصر ٠٠ ويؤهل لهذه الدورة الحضارية تطلعات شبابنا ٠٠ أو الطموح الحضارى لهم ٠٠ وحرب أكتوبر ٠٠

ان رشدى فكار يرى أن حرب أكتوبر هى المعجزة الحضارية الوحيدة فى مصر بعد بناء الاهرامات ٠٠٠ وأن وقوعها مؤشر لبدايه بعث حضارى محتوم للعروبة والاسلام لماذا ٠٠ ؟؟

انه ليس وحده من يعتنق هذا الرأى ٠٠ بل يشاركه فيه علماء كبار فى أوربا من زملائه فى مجامع الخالدين ٠٠ لانهم يعتقدون أن الانسان المصرى العربى الذى يعانى من الفقر والمرض وربما الجوع ومن الجهل والامية استطاع التفوق ـ علميا ـ خلال حرب أكتوبر فى مواجهة الانسان الاسرائيلى المتعلم الصحيح البنية الذى شبع واستراح ولا تشغله هموم أسرته أو مأساة زمانه اليومية ومع ذلك سقط الجندى الاسرائيلى مهزوما أمام الجندى المصرى ٠٠ وهذا هو أعظم برهان على أصالة الانسان العربى السليم ٠٠ وأعظم دليل على حقه فى قيام دورة حضارية فوق أرضه ٠٠

---

(١) كتاب مصريون فقط ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ٠

وهنا يطرح رشدى فكار معى قضية : من هو الوريث للحضارة ؟؟ حضارة أوربا الحديثة ..

ان حرب اكتوبر هى التى غيرت مفهوم علماء أوربا عن ورثة الحضارة الحديثة انه يقول انهم : العرب .. ويشاركه فى هذا الرأى علماء أوربيون كثيرون لان حرب اكتوبر مؤشر علمى لهذا الرأى ..

وآخرون يقولون بل الوريث هو الصين ..

ومع ذلك فالدكتور رشدى فكار يهيب بالعرب أن يطرحوا بعيدا الافكار المستوردة حول الاشتراكيات والفلسفات الثورية التى لا تتفق ودين الاسلام لنستعد من خلال الاسلام والتراث الحضارى للعرب لكى نرث الحضارة أو على الاقل نشارك الصين فى هذا الارث ... !!

لكن ما هى أزمة الحضارة الحديثة ؟؟

رشدى فكار له رأى منشور فى المجلد الخامس من كتاب (المراهنة الصناعية) الذى صدر بالفرنسية فى باريس وشارك فيه علماء أكاديمية العلوم ويقول رشدى فكار فى هذا الكتاب .. حضارة القرن العشرين فى أزمة ..

أزمة فى غرب أوربا وفى شرق أوربا .. تتكشف وتتعدد .. أزمة فى المال .. أزمة فى المواد الاولية .. أزمة فى القيم الانسانية ..

وباختصار هى أزمة الانسان فى ظل حضارة الاشياء .. مثلا .. يتحضر الصاروخ والثلاجة والمركبة والطائرة ولايتحضر الانسان !!

انها حضارة مادية ٠٠ تستهلك الانسان لحساب الاشياء !!
يقول : (١)

حضارة القرن العشرين بدأت تتآكل ٠٠ لان انســــان هذه الحضارة قد دفن نفسه بنفسه عندما دفن الاله ٠٠ وعرى جسده من روحه بعد أن أدار ظهره للسماء ٠٠ يلهث مندفعا خلف غرائزه الحيوانيه الاستهلاكية ورفاهية مزعومة أفرغته من جوهره فأصبح يتنــــازل عن مثله وقيمه وأصالته بأبخس الاثمان ٠٠ أسواق الخداع والغش والكذب والنفاق فى مقابل سلعة يقتنيها ٠٠ !؟

انه يلهث دائما ليشـــــبع غرائزه التى نماها فتنمرت عليه فأصبح عبدا لها مستلبا لها ويتعايش مع هذا الاســـتلاب ٠٠ أى التجرد من القيم ٠٠ أى العرى من العقيدة والمثل والاخلاق ٠٠ هذا هو الانسان المستلب انسان حضارة القرن العشرين !!

وقد أطلق رشدى فكار على هذه الحضارة فى كتبه بالفرنسية والانجليزية إسم (حضارة الاشياء) وفى ظل حضارة الاشياء كما يقول أى حضارة الطائرة والثلاجة والسيارة وتدهور الانســــان أصبحت العلاقات بين الافراد والجماعات هى علاقة الذئاب للذئاب ٠٠ تنكر الانسان للانسان فماتت الضمائر قبل موت الاجساد ٠٠ وفى هذا المعترك الساخن الذى فقد فيه الاحتكام للحق عند الاقوياء والضعفاء على حد سواء يأتى الاسلام متجســـدا فى دعوته بفضل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ليجعل الانسان السليم واثقا من صحة الهدف ٠

والهدف هو اسعاد الانسان فى الدنيا بتعادله وتوازنه بفضل سلوكه الوسطى وبعده عن النظر والمغالاة والاستلاب ٠٠ أى العرى من القيم ٠

---

(١) كتاب مصريون فقط ص ٧٤ ، ٧٥ ـ الناشر دار الشعب ٠

أما فى الآخرة بضمان استقرار وجدانه وحمايته من القلق حين ربط مصيره بما هو أسمى من متاع الدنيا الزائل ..

والانسان المسلم فى رأى رشدى فكار له ميزة هامة ينفرد بها بين البشر ..

يقول : (ان الحياة بالنسبة للانسان السليم ليست مجرد أكل وشراب وثياب ومتاع عبر أيام تتكرر وليال تمر .. وانما الحياة بلاء يكشف من خلاله طاقته الصالحة وجوهره الاصيل وسلوكه البين .

وقاعدته وحكمته فى السلوك رضاء الله وتقبل الدنيا وقضاياها تقبل المؤمن المتفائل بلقاء الله .. مسيرته الدنيوية يعيشها بفؤاد رضى لا تغريه فينسى حقيقته المؤقتة فيها .. ينظر دائما الى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف وضعت والى الكواكب فى الكون كيف انتظمت .. تسبح بحمد الله .

والاسلام ليس هو القضية اليوم بل القضية هى الانسان المسلم كما يرى الدكتور رشدى فكار ..

لان الاسلام لا يتغير .. هو كما هو كما أراده الله تعالى ليس فى أزمة .. بل الازمة هى أزمة الانسان المسلم .. الذى ابتعد عن الاسلام .. !! (١) .

وأعود الى قضية جائزة نوبل فى الآداب .. ذلك أن شيوخ الفكر والادب فى مصر وفى البلاد العربية الاخرى كانوا يحلمون بهذا اليوم الذى يرشح أحدهم فيه لهذه الجائزة ولكن ...

ان الفكر لكى ينطلق من قالبه المحلى الى العالمية يحتاج الى

---

(١) نفس المصدر السابق .

ثقافة موسوعية لم تتوفر فى أحدهم وربما لان السنين الماضية قد ساعدت على ركود الفكر العربى وفى الفن الادب يمكن أن نقول بصدق أن بعض أدباء مصر قد يكون له انتاج فى مستوى الانتاج الانسانى العالمى ولكن فى النهاية نجد المحصلة أن هذا الفن محلى .. أو لا يزال فى مسيرته نحو العالمية ٠

وليس المهم من يحصل على جائزة نوبل فى الأداب كما قال لى الاستاذ الكبير توفيق الحكيم عندما صحبت الدكتور رشدى فكار معى لزيارته فى مكتبه بالاهرام يوم الخميس ٢٤ مارس ١٩٧٧ .. وكان يحضر هذا اللقاء الدكتور لويس عوض وأديبنا الكبير نجيب محفوظ ..

بل المهم كما قال توفيق الحكيم أن يحصل على هذه الجائزة (الفكر العربى نفسه) ممثلا فى أى انسان .. والتفت الى الدكتور فكار قائلا : وأنت الآن رسول هذا الفكر الى العالم ..! انها قضية الساعة .. أن تكون لمصر واجهة حضارية عالمية من خلال مفكريها وفنانيها وعلمائها .. وعبقرى واحد قد يكفى ـ لو عرفه العالم ـ ليقيم هذه الواجهة الحضارية لامته ولقومه من خلال عالميه فنه أو فكره أو علمه ..

وكانت اسرائيل قد وقفت بكل قدراتها السياسية ونفوذها العالمى وراء ترشيح شاعرها (أجنوج) لجائزة نوبل ..

وفى لقاء رشدى فكار بتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ولويس عوض قال أن اسرائيل قامت بضغوط هائلة من خلال الهيئات العالمية فى أوربا وأمريكا ليحصل هذا الشاعر ـ رغم قلة انتاجه ـ على جائزة نوبل ..

وحصل شاعر اسرائيل على جائزة نوبل فى السبعينات ٠ وبذلك حققت اسرائيل لنفسها انتصارا حضاريا كبيرا .. بنقل

فنها وآدابها من المحلية الى العـــــالمية .. وذلك دليل التفوق الحضارى ... !

أما نحن فى مصر .. فلم نقم بأى جهد عنـدما ظهر عبقرى مثل د. رشدى فكار فهو الذى اســــتطاع بمجهوده الشخصى وبمعاناته الذاتية أن يثبت عبقريته المصرية العربية الاسلامية وسط المناخ الفكرى العالمى دون أن يقف خالفه أحــد .. لا الدولة .. ولا الهيئات العربية باستثناء المملكة المغربية وعلى رأســها ملكها العظيم الحسن .. فان المغرب وقفت بكل ثقلها وراء ترشــيح رشدى فكار لجائزة نوبل مع باقى الهيئات العالمية الاخرى.. وهذا دليل على أن الفكر العربى ليس منتميا الى الاقليمية بل هو فكر واحد فى المشرق والمغرب .. وظاهرة رشدى فكار تؤكد ذلك أن مصر فى مواجهة حضارية مع اسرائيل ..

وجاءت حرب أكتوبر ...

وتفوقت مصر خلال هذه المواجهة الحضارية عسكريا ــ أى بالعلم ــ على اسرائيل رغم كل المأســـاة التى طحنت مصر خلال العشرين سنة الاخيرة .. فى أكثر من حرب منهكة !؟

ولكن .. ان عالمية الفكر والفن هى من مظـــاهر التفوق الحضارى الآن .. بل هى عنوان هذا التفوق ..

ومصر هى قلعة الحضارة الاسلامية العربية ومصر هىواجهه التاريخ القديم لحضارة انسان كوكب الارض !

ومع ذلك فلا أحد من مفكرى مصر وأدباء مصر أو فنانى مصر له موقع (العالمية) على خريطة الحضارة الحديثة ..

لا طه حسين ولا توفيق الحكيم ولا العقاد ولا نجيب محفوظ ولا يوسف ادريس والشرقاوى ومجموعات أخرى أقحمت نفســها (بالقهر) على الفكر المصرى العربى الحديث .. لا أحد من هؤلاء

استطاع الوصول الى هذا الموقع العالمى ..

رغم أن توفيق الحكيم كما قال رشدى فكار فى حديث له مع جريدة العلم المغربية يستحق هذه الجائزة العالميـــة .. لكن يبدو أن الحركة الفكرية والادبية فى مصر قد وقعت فى كمين صراع الالوان مما أثر على مسيرتها وتطورها .. فقد تسللت الى الحركة الادبية والفكرية فى مصر عناصر نشطة تمثل فكر الآخرين وتحارب معارك الآخرين وتناضل من أجل الانسان الآخر .. وليس من أجل مصر وانسان مصر أى من أجل العرب وانسان العرب !

وقد جاء المخاض الى مصر فجـــأة لتلد مصر هذا العبقرى د. رشدى فكار وترشيحه دوائر الفكر والعلم فى العــــالم لجائزة نوبل ..

ربما لان رشدى فكار لم يقع مثل غيره من مفكرى مصر فى كمين صراع الالوان .. ولم يحارب مثل غيره معارك الآخرين .. بل التزم بموقف الانسان العربى المنتمى للقرآن ..

ان مجرد الترشيح لجائزة نوبل مسألة صـعبة بل أصعب منها أيضا وصول مفكر أوأديب أو عالم الى مستوى يدفع لجـــان نوبل الى قراءات انتاجه .. ان مجرد قرار مؤسســـة نوبل بقراءة انتاج المرشح فى حد ذاته أمر صعب للغاية ..

ثم يأتى اقرار ترشيح المفكر أو العالم للجائزة .. ان ذلك يحتاج الى معرفة تامة بهذا المفكر أو هذا الاديب أو هذا العالم .. وتجتمع أكاديمية العلوم فى السويد لتقر ترشيح د. رشدى فكار للجائزة .. بعد أن أقرت لجان القراءة فى مؤسسة نوبل هــذا الترشيح .. من خلال قراءات لمجموعة دراساته وكتبه وأبحاثه .. كل هذا حدث .. ومصر لا تدرى .. وهنا العجب العجـــاب فى قصة الدكتور رشدى فكار !!

ما معنى ذلك .. ؟؟

معناه أن الحركة الفكرية والادبية فى مصر كانت غائبة عن حركة الفكر فى العالم وليس هذا فقط ٠٠ بل ان الحركة الفكرية والادبية فى مصر غائبة أيضا عن قضية المواجهة الحضارية مع اسرائيل ٠٠ !!

وتلك كانت محصلة طبيعية لسيطرة مخطط صراع الالوان على الفكر !!

ان الذى لا يعرفه أحد فى مصر عن د٠ رشدى فكار فتى القرآن وعبقرى الفكر الاسلامى الجديد هو أنه ند فى أية مناظرة عالمية لكبار مفكرى العالم ٠٠

انه ند لجارودى فيلسوف الماركسية الجديد ٠٠ وكل مثقف فى أوربا يعرف رشدى فكار ٠٠ بل ان سكان مدينة جنيف مثلا عندما يشاهدونه فى أى مكان يحيطون به فهم يعرفونه لانه صاحب كتاب (أصول أهل جنيف) ٠٠ وتذاع حلقات من الكتاب فى التليفزيون السويسرى ٠٠

وليس هذا فقط ٠٠ بل ان المثقفين فى فرنسا يعرفون أن الدكتور رشدى فكار هو المفكر الوحيد فى العالم الذى استطاع تقييم الفكر الثورى الفرنسى ومناصرته فى مواجهة الفكر الالمانى ٠٠ فهو يرى أن الفكر الالمانى (ماركس ومن معه) ليسوا فى مستوى (سان سيمون ومن معه) ٠٠٠

ويروى لى الدكتور رشدى فكار قصة ترشيحه لجائزة نوبل ٠٠ وأنا أسأله عن انتماءاته ؟؟

يقول :

ـ أنا من أشد الناس اعتزازا بالماضى كمشعل على طريقى وأصالة مسيرتى لان هذا الماضى جزء منى ٠٠ لا أستطيع السير بدونه ٠٠ هو ذاتى ٠٠ واستمرار هذا الماضى متوقف على عمق

ايمانى به وتستطيع أن تقول أننى أمثل الواقع الفـــكرى العربى الإسلامى كما يجب أن يكون ٠٠ ومن هنا بدأت قصة ترشـــيحى لجائزة نوبل !!

وأسأله :

وكيف نشأت ٠٠ ؟؟

قال :

ـ نشأت فى البداية فى قرية فى أعماق الصعيد كانت نشأة دينية ٠٠ حفظت القرآن والتحقت بالازهر الشريف ٠٠

ثم بدأت مسيرة ثانية نحو الفكر الوضعى ٠٠ (أى نظريات انسان كوكب الارض) ٠

والفكر الماركسى (المادى) قمت بدراسته ودراسة أصوله ٠٠ وظلت هذه المسيرة فى الخارج وأنا بعيد عن وطنى بجسدى وليس بعقلى طوال ربع قرن ٠٠

وأقول له :

ـ من أنت بالنسبة لمفكرى العالم الثالث ٠٠ ؟

ـ أنا أنتمى للفكر العربى الاســـــلامى ٠٠ وأصر على ذلك وأعلنه ٠٠

ـ وهل هذا الانتماء هو الذى أوصلك لابواب جائزة نوبل ؟

ـ أن الفكر العربى له من الاصـــالة والقدرة ما يجعله فى مستوى جائزة نوبل ولو ترك لى الخيار لتركت الترشيح لجائزة نوبل فى الادب لمفكرين وأدباء غيرى فى العالم العـــربى وكلهم يستحقون أكثر مما أستحق أنا ٠٠ !!

وأسأله :

ـ مثل من ··؟؟

فيقول :

ـ مثل توفيق الحكيم ··

ـ أنت متواضع ··

قال :

ـ أقول لك بصدق أن الفكر العربى فى المشرق والمغرب غنى بالقدرات النشيطة والتي يمكن أن نباهى بها كما قلت فى حديث لى مع جريدة العلم الثقافية فى المغرب وقد حددت اســـم توفيق الحكيم بالذات فى حديثى ··

قلت لرشدى فكار ··

ـ اننى أعتقد أن عقدة (المحلية) تؤرقنا ونحن نواجه الفكر العالمى ·

قال .

ـ يمكن أن نقف فى مواجهة الفــكر العــالمى بدون أن تؤرقنا عقدة المحلية على أساس ما نقدمه وما نســـاهم به في ساحة الفكر الانسانى أى ما نعطيه من خلق وابتكــار ثم تجديد فى عطاء هــذا الفكر العربى الاصيل ··

وامضى فى حوارى مع رشـــدى فكار ·· أكثر من عشرة أيام قضـــاها أخيرا فى مصر بين القاهرة والصـــعيد حيث هناك أسرته ومرتع صباه ·· وأسأله :

ـ كيف تم ترشيحك لجائزة نوبل ·· ولماذا ؟؟

قال :

ـ القصة بدات بمساندة قوية من هيئات ثقافية في أوربا ومحافل علمية عديدة ٠٠ ثم بادرت هذه الهيئات في فرنسا والسويد وايطاليا بتأييد ترشيحى ٠٠ لكن الذى أفخر به حقا هو مساندة وتأييد الهيئات العلمية فى كثير من الدول الاسلامية لى ٠٠ مما جعلنى أشعر حقا بأنى لست غريبا بل أنتمى لجذور وأصول ٠٠ اننى أعتز بأننى مفكر مسلم ٠٠ وعربى ٠٠

قلت لرشدى فكار :

ـ لماذا ظلت أبواب الترشيح لجائزة نوبل مغلقة أمام الادباء والمفكرين العرب ؟

قال :

ـ كان علينا أن نتقدم لنقتحم هذه الأبواب أى نقتحم هذه الأرضيات الفكرية العالمية ولا ننتظر أن تأتى الينا فى عقر دارنا ٠٠ ان الانسان العربى لكى لا يتجمد ويتقوقع فى سجن المحلية عليه ان يكون حاضرا فى كل زمان ومكان ان غيابه هو السبب فى عزلته ٠٠ ان الجائزة كما هو معروف تخضع لبعض السيطرة ٠٠ العالم كله يعرف هذا ٠٠ ولكن السؤال هو :

لماذا لا تخضع لسيطرتنا نحن أيضا !؟؟

أى يكون لنا فيها ثقل ووجود ٠٠٠ هذه هى القضية !

قلت له :

ـ الناس فى مصر يشعرون الأن وبعد أن تحدثت الصحف فى القاهرة أخيرا عنك وعن ترشيحك للجائزة ٠٠ أن من حقهم عليك أن تتحدث اليهم عن انتاجك الذى أوصلك لابواب جائزة نوبل ٠٠

قال :

ـ لقد تم ترشيحى للجائزة على أساس مجموعة انتاجى

ودراساتى فى الفكر المثالى الانسانى ..

ــ أى فكر تقصد ... ؟

قال :

ــ فكر ســـان سيمون أى « آلسا نسمونية » وامتداد هذا الفكر الى العالم .. ثم تأتى بعد ذلك مجموعة كتبى ودراســاتى العلمية فى الاســلام .. وكلها كمــا هو معروف منطلق من مفهوم الكلمة الطيبة والحوار والتسامح .. أى « الموعظة الحســنة » كما أمرنا القران الكريم .. وهذه الدراسات اســتغرقت ربع قرن من عمرى ..

قلت له :

ــ هــل تحدثنى عن مشاعرك وأنت تتلقى نبأ ترشيــحك للجائزة ؟

قال :

ــ هذا سؤال مهم فى الواقع .. وقد ســألنى صحفيون من المغرب نفس السؤال فقلت لهم أننى شــعرت ليس بالفخر .. بل بالثقة فى الانسان العربى المجهول .. ! وتأكدت من هذه الثقة أكثر الآن .. عرفت أن هذا الانســـان العربى المجهول ــ على مستوى الانسانية ــ يمكنه لو تحرك أن يفعل شيئا على مستوى العالمية ..

قلت له :

ــ الأن الانســـان العربى المجهول قد تحرك ووصــل الى « العالمية » كما أعتقد من خلال اقرار ترشيحك لجائزة نوبل ..

قال :

ــ نعم .. أن اقرار ترشيحى لجائزة نوبل طرح امكانية هذا

الانسان العربى الذى سيحصل عليها فى المستقبل وهو الذى ظل مجهولا بالنسبة للفكر العالمى الحديث ·· لكنه لم يعد كذلك الآن ·

وفجأة بدأ رشدى فكار يثير موضوع الصهيونية ··

– اننا فى وطننا العربى ما زلنا نعيش سجناء غفوة «القهر» لماذا ·· ان من سار على الدرب وصل ·· ان الصهيونية تقتحم كل أرضيات العالم وتفرض نفسها أما نحن فنقف سجناء لعقد مروعة ·· أهمها عقدة « القهر » ··

أن قضية الفوز بجائزة نوبل كما قال جان بول سارتر ليست هى القضية أو هى الهدف ·· لكن المهم هو أن يصل الانسان الى المستوى الذى يجعله أمام العالم جديرا بهذه الجائزة وبغيرها ·· لماذا لا يقتحم العرب وعلى راسهم كل مفكر عربى وعالم عربى هذه الأرضيات ويحطم قيوده الوهمية ··

ان الانسان العربى سيظل دائما فى سجنه اذا لم يتحرر من عقدة القهر ··

وسألته :

– ما هى الخطوات التى تتم عادة قبل الترشيح لجائزة نوبل

قال :

– ترسل مؤسسة نوبل استجوابات استطلاع راى لمن يصلح للقراءة حتى تعطى صلاحية القراءة ·· وتسمى هذه المرحلة مرحله الاقتراع التمهيدى ·· اما الترشيح الرسمى فهذه قضية خاصة بالأكاديمية السويدية ولجنة نوبل للأدب ·· ولا احد يستطيع ان يفرض نفسه فرضا على الجائزة ·· وبالنسبة للسادة المفكرين العرب المعاصرين أعتقد أن قضية جائزة نوبل ليست من المأساوية بمكان وأنها ممكنة ·· ولكن طبقا لشروط مؤسسة نوبل نفسها

وليست طبقا لشروط السادة المذكورين ·· يجب أن نأتى البيوت من أبوابهـا ان أسـماء المرشـحين لجائزة نوبل يجب أن تكون مستأنسة بالنسبة للمفكرين فى العالم ·· أى معروفة لهم ··

وأترك رشدى فكار فى ساعة متأخرة من الليل ليستريح بعد أن طلب تقديم الطبعة الثانية من كتابه «فى الماركسية والدين» وألح على أن أضيف الى هذه الطبعة كل ما دار بينى وبينه من حوار على مدى الأعوام الثلاثة الأخيرة ·· وأعترف بحق أن الدكتور رشدى فكار منذ أن عرفته والتقيت به استطاع أن يخرجنى من كهف العزلة وأن يجعلنى أرى بعينى الأفق المشرق لمستقبل الحضارة في بلدى من خلال صورته هو ·· الانسان المصرى المؤمن بذاته وبأصـوله التاريخية وبجذوره فى الأرض وهى أرض الأنبياء ·· وأخيرا أردت فى الحقيقة وأنا أخرج من كهف العزلة أن أدفع بهذا العقل المصرى العالمى الذى يعيش بعيدا عن وطنه الى ساحة الحوار الفكرى في هذا الوطن ليتصدى بقدراته العلمية الموسوعية للمواجهات الشرسـة التى تقع دائما فى مصر بين الانتماء وعدم الانتماء ·· فهل يستجيب ويعود · ؟؟

على الدالى

فى

الماركســـية والـــدين

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

وجادلهم بالتى هى أحسن »

« قرآن كريم »

الفهـــرس

كلمة المؤلف

اشكالية أساسية وحيوية أم اشكالية ثانوية وتجريدية ؟
اشكالية المواجهات بين الدين والفكر النشط المعاصر مجسدا فى الماركسية وما حولها أهى اشكالية أساسية وحيوية أم اشكالية ثانوية وتجريدية ؟ هل من باب رفاهية الفكر أن يتعرض الباحث لهذا الموضوع ؟ لان هناك موضوعات أكثر فورية تتطلب تعبئة الفكر وتحريك القلم • أم هذه القضية لها الصدارة ولا بد من طرحها واعطائها ما تستحق من الوقت والطاقة عند المفكر الانسان الملتزم بقضايا عصره •

نستبعد دون اطالة ومن البداية الافتراض الاول لانه لا وجود له الا عند فئة معينة تعانى من الوصاية الفكرية ذات اليمين أو ذات اليسار ، ومن احتباس القلم ، وتقوقع الرؤية ، وتكهف الالتزام ، فتعيش فى قوالب فكرية محنطة صنعت لها مسبقا وحكم عليها بعدم تجاوزها الا بحسبان ، بل وفرضت عليها فى غيبة الوعى ، وقصور التكوين ، واستحالة التطلع والاشراق ، لتصبح مجرد آلات تشتر تعبيرات موجهة فرغت من محتواها •

ومن ثم لم يبق لنا الا الافتراض الثانى الذى اكتسب مشروعية وجوده وأولويته من خلال الواقع الملموس فى الحياة الفكرية ، ليس فقط فى المجتمعات الفتية التى تبحث عن ذاتها وعن أرضية تجسد فيها علة وجودها من حيث هى (لا وجود لها من خلال تهميشها لذات الآخرين تمضغ فتات الفكر المستورد لتقتات به) وانما فى المجتمعات الصناعية المتقدمة والتى تتمتع بحرية الفكر وتؤمن بعطاء الانسان لا استغلال الانسان باسم المجتمع أو استغلال المجتمع باسم الانسان •

المبحث الاول

طرح الاشــــكالية

لنبدأ فنسمي الامور بمسمياتها بالنسبة للدين وباسم أسسه ومبادئه الخالدة ، وايمانا بالمسئولية المقدسة في العقيدة والالتزام نرفض الوصاية والجمود والاحتماء خلف الشكليات ونتبنى دائما الحوار والاجتهاد لما فيه من تسليم بتحرر العقل والاعتراف به ، وما فيه من اعلاء حق لكلمة الله • وبالنسبة للفكر النشط المعاصر ومجسدا في الماركسية وما حولها وباسم التطور في العلم والمعرفة نرفض أيضا القوالب الجاهزة المصنوعة خصيصا لتكون سجنا للفكر ومقبرة للاجتهاد ، وتجهيلا لحركة التاريخ باسم فلسفة التاريخ وحتميته •

وهنا نستبعد أساسا الماركسية الجاهزة المهندسة (بفتح الدال) حسب المقاس لتبرير المواقف والاغراض ونعني بها ماركسية النظم المطبقة ذات المصالح الانتاجية والاستهلاكية التي ربطت مصيرها بمصير المضاربات الدولية وسوق عملة المزايدات مرة باسم التعايش السلمي وأخرى باسم فلسفة الوفاق على جثث ضحايا الحروب المحلية وامتصاص موارد الشعوب وخيراتها في مقابل بيع أسلحة التخريب والدمار وتجريبها لمعرفة مدى فاعليتها في أجساد البؤساء ، بعد تذكية الحماسات بين أفراد المجتمع أو الامة الواحدة ، والمساعدة الضمنية في نصب شباك الهزائم والنكسات لمزيد من النكسات ، مستغلة المكر والدهاء والحيل والرياء ، والتصيد في مستنقعات المياه العكرة •••

هذه الماركسية بالنسبة لمتخصص نزيه في الماركسولوجيا هي مجرد واجهات وشعارات لا تقل استهلاكية عما تغطيه من استهلاكات ، فهي ماركسية لم تكتف بخيانة ماركس المفكر وانما تجاوزته لخيانة الانسان ، وعليه فالماركسية التي تعنينا هنا كما

ننصورها على مستوى الاختصاص فى الماركسولوجيا لا على مستوى الفضول أو المزايدات باسم المواقف والاغراض هى أولا ماركسية المنطلق والانطلاق ونقصد بها ماركسية ماركس ثم ماركسية التأصيل والانعتاق وهى التى تتجسد ـ حسب تحديدنا للمفهوم فى الخلص والاصفياء من الماركسيين ومن الشراح المختصين الاحرار ، باعتبار أن الماركسية مرت بمراحل متعددة ، وعرفت الفرق والملل المتنوعة ، وأسست تنظيرا ثم مورست تطبيقا .

اذ بعد ماركسية المنطلق والانطلاق مع ماركس من الاصول الى النضوج كانت ماركسية ما بعد ماركس من الازمة والارتقاب الى الاستيعاب والانبعاث مع روزا لكسمبورج والماركسية اللينينية تنظيرا وتطبيقا ، وما حولها وما تبعها من اجتهادات وانشقاقات وارتدادات بل وتصفيات كمجرد أمثلة لا حصرا . بوخارين ، كاوتسكى ، تروتسكى ، ستالين ، تيتو ، ماو ، والقائمة طويلة ، وحافلة بالمنظرين بمختلف التيارات التى يمكن مع التجاوز تصنيفها من باب التقريب فى اتجاهين رئيسيين تتكامل فيهما هذه التيارات بطريقة أو بأخرى .

اتجاه تمثله ماركسية تنظيرية متحررة تسعى جاهدة بفضل التعميق الفكرى الى التأصيل والانعتاق من خلال الحوار والاجتهاد . واتجاه تتقمصه ماركسية جاهزة وان اختلف الموطن ، مهندسة حسب المقاس لتبرير المواقف وهى ماركسية النظم المطبقة ذات المصالح والمنافع والاغراض .

ان كان الاتجاه الاول تجمع تياراته وحدة الهدف الفكرى الانسانى ، فالثانى تباينه تياراته حسب المنافع والمطامع والاهواء. لانه لا يمكن عزل ماركسية التطبيق عن معطيات المجتمعات التى طبقت فيها وضرورياتها وحاجياتها ومتطلباتها ومن تم فهى مجرد غطاء يتكيف حسب هذه المعطيات وبالتالى لا تعنينا أساسا هنا كما لا تعنينا شروحها التبريرية الموجهة ، والتى يمكن وصفها بأنها ماركسية اللاماركسية .

لأن المفكرين الماركسيين فى النظم الماركسية من الخطأ عزلهم عن محتوى تبرير النظام ، فهم سجانته وسجناؤه فى نفس الوقت يفكرون باسم ضرورة بقاء النظام ، ولو على حساب غيبة الماركسية والالتزام ، وصندوق التعبيرات كفيل بامتصاص التناقضات وتغطية العورات ، ويلحق بالماركسية الجاهزة هوامشها وضواحيها خارج حدودها الجغرافية هذه الهوامش للماركسية الجاهزة المقنعة لمصالح نظمها ، والتى اتخذت من الماركسية مجرد غطاء ورداء . تمثلها فئة من المروجين والمهرجين والوصوليين بائعى الشعارات والمغالطات يبثونها دون وعى ، ولا عمق ولا ايمان .

بقى لنا اذن كقدرة احتكام فى تقييم موقف الماركسية من الدين ، ماركسية المنطلق والانطلاق (ماركسية ماركس الاصول والنضوج) ثم ماركسية التأصيل والانعتاق بعد ماركس ، والمجسدة حسب تحديدنا للمفهوم فى الخلص والاصفياء من الماركسيين ، ومن الشراح المحايدين الغير متمركسين كمتخصصين أحرار .

هذا التقييم الذى نتصدى له ــ نشير الى ذلك منذ البداية ــ ليس جزافيا أو عفويا وانما نتيجة لمعايشة فكرية للدين كانتماء واقتناع ، ولاصول الماركسية كتخصص واختصاص ... ان كان التخصص فى الماركسية كلفنا من العمر زهرته أعواما طوال قاربت الآن ربع القرن ، فالدين قد احتضننا فى طفولتنا وفتوتنا لنكون من رجاله ، فعرفنا مجاورة الازهر الشريف وممراته ، وحصره وأروقته وفقهائه ؟ وحفظنا القرآن الكريم وأحاديث الرسول الامين كأى طفل فى قرية مجهولة من قرى أمتنا العربية الاسلامية ، وعاصرنا أوراق الكتب الصفراء ومراجعتها تحت ظلال أضواء المنافذ الضيقة التى لا تسمح لدخول شعاع الشمس الا بمقدار وجسدنا ملتصق بالارض رمزا للصبر والاصرار .

فلسنا بغرباء على الدين ولا بمتطفلين على الماركسية التى

عرفناها من جذورها الفكرية : ألمانية فلسفية ، أو انجليزية اقتصادية أو فرنسية اجتماعية ، من اليسار الهيجلي الى ريكاردو، ومن سان سيمون الى فوريه وأوين ، ومن خلال الجمعيات السرية للعدلاء والمشردين في باريس ، حيث استقى ماركس منهم نضاليته، ومع مواجهات باكونين وجران واشتين ، وبردون وغيرهم ، وفي رفقة الشاعر هنريك هينه المرشد الامين لتطلعات ماركس الشاب، وفي أروقة جامعات برلين وابنا حيث لاحظنا بناء ماركس المثقف بعد الاشعاعات الاولى في مدينة ترف وجمعية الدكاترة .

ثم مع الشراح الاوفياء بعد ماركس الباحثين عن التأصيل والانعتاق في فكره ؟ أما الدين فقد تقبلناه من منابعه بفطرة الايمان قبل أن نواجهه بصرامة العقل الوضعي وعطاء الفلسفة الحديثة والمعاصرة النشطة .

ولو أن الارتداد تم على مستوانا وتمكن ماركس وما حوله من اطار فلسفي نشط من أن يقنعنا بالتخلى عن الدين ، لما تراجعنا عن اعلان ذلك ، ولكن اكتشفنا الارتداد عند ماركس وعلى لسانه . فبعد الرفض عاد بالدين الى الحوار ، وعليه فالامانة العلمية تدفعنا بكل موضوعية الى اعلان ارتداد ماركس ، وفاء منا لحقيقة تطوره الفكرى ، ولاصالته ، وعدم مكابرته كما يفعل بعض المضاربين والمقامرين فكريا باسمه بعد ذلك .

ولنبدأ تقييمنا فنحدد أبعاده ، لان المقام لا يتسع لمواكب السيرة وتعاقب الاحداث . لقد طرحنا في الستينيات وبشىء من الحذر والحيطة والاحتراس في أبحاث منشورة لنا في مجلات علميه اجتماعية بسويسرا ، وفي مراكز البحث العلمي بعض التساؤلات حول الدين والارتداد ، وذلك قبل نشر مؤلفاتنا عن السوسيولوجيا ، والاشتراكية ، والدولية والمرحلة الوضعية المهيئة للماركسية ، وانعكاساتها العالمية ، ولاحظنا أن هذه الابحاث قوبلت لدى البعض

بالتحمس المشبوه ، طمعا فى استغلالها لتدمير ماركس فاتخذوها كأرضية لها طروحات عن ماركس المسيحى الفاشل وضعها أحد القسسة ؟ ولقد تحفظنا عليها فى حينه ٠

كما قوبلت من بعض الماركسيين فى الغرب بالتفهم والاستيعاب ومحاولة معرفة المزيد حول هذا الموضوع ، وان كان جانب من غلاة الماركسية والمتطرفين لجأ الى المغالطات في تقييمها دون عمق ودراية ٠ لان خير من يستفتى فى معرفة ماركس هو ماركس نفسه وانتاجه ٠

ولقد ألزمتنا طبيعة البحث بعد ذلك أن نتصدى لقضايا أخرى أقل سخونة وحساسية من قضايا الماركسية كمثال : أصول الفكر الاجتماعى فى روسيا قبل أحداث أكتوبر ٠ مدرسة توسكان الاجتماعية التقدمية ودورها فى توحيد ايطاليا ؟ أصول الاشتراكية فى ألمانيا ، الفكر الانجليزى الاجتماعي وعلاقته بالمدرسة السان سيمونيه ٠ وكذا الفكر الاسكندنافى لسترنبرج ونيلس ونلسن - وحركة الارجنتين الفتية وعلاقاتها بالفكر التقدمى الاوربى ٠ والارتداد الاشتراكى فى أمريكا الشمالية وعوامله ؟ والحركة السان سيمونيه فى العالم العربى ٠٠ وأبحاث أخرى منشورة فى مراكز البحث العلمى والمجلات العلمية المتخصصة ؟ ٠

ولكن هذا لم يمنع تساؤلنا عن (الدين وماركسية الرفض والارتداد) من أن يتخذ طريقه على مستوى الاصداء وردود الفعل ، خصوصا وقد جاء مدعما بالبراهين والوثائق ، وأبرزنا فيه كيف أن ماركس فى مرحلته الاولى (ماركسة المنطلق والاصول) تبنى أساسا مبدأ الرفض للدين لا رفضا فلسفيا ولكن رفضا سياسيا حيث انبرى لدوره في بنية المجتمع ووصفه بأنه دور سلبي وقف الى جانب المستغل (بكسر الغين) وصنفه بين الايديولوجيات الاستلابية التي تمارسها البنية الفوقية للمجتمع كمخدر تبريرى ؟

واستمر فى موقف الرفض هذا تحت تأثير فيورباخ واليسار الهيجلى من بوير ، وكوبان الى موزيس هيس ، وجـــانز ورو ج وغيرهم ، وحتى انعكاسات فكر كندرسيه ؟ غير أننا لاحظنا تحولا تدريجيا منذ سنة ١٨٤٤ عند ماركس الناضج وموقفه من الدين . وحاولنا أن نبحث عن سر هذا التحول ولم نستبعد التأثير الفرنسى من خلال مدارسه الاجتماعية ومدرسة سان سيمون بصفة خاصة ، حيث تصدى ماركس باسمها ليفنـــد آراء كثير من المفكرين الالمان لانهم لم يفهموا سان سيمون أمثال جران واشتاين .

فقد وضع ماركس مؤلفا يرد فيه عليهما ثم كانت طلائع أو ارهاصات الارتداد عند ماركس عن موقفه حيـــال الدين والالة . (الالحاد ـ يقول ماركس ـ لا معنى له لانه انكار للاله بلا مبررات، اللهم الا اذا كان الهدف أن يحل الانسان محله) .. ويكرر ماركس نصا (الاشتراكية ليست فى حاجة الى مثل هـــــذه الشطحات التجريدية الجوفاء والمضاربة على الاله) ..

ولقد استعمل (روجيه جاردوى) هذه النصوص فى محاجاته وتعليقاته الاخيرة مع (موريس كلافيل) ، كما اســتعمل بقيه البراهين الاخرى التى تؤكد بالنسبة لنا الارتداد ، وبالنسبه له اى جاردوى (المرونة الفكرية عند ماركس) وان كنـــا فى الجوهر متفقين على تغير الموقف عند ماركس : ارتداد أم مرونة ؟ نفضــل بالنسبة لنا وباسم الامانة العلمية أن نسمى الامور بمســـمياتها خصوصا فيما يعنى هذا الموقف الذى له أهمية خاصة .

أما بقية براهين الارتداد فمنها رسالة ماركس المشــــهورة الموجهة للبابا بمناسبة رفضه الدخول فى (الحلف المقـــدس) (وانطوائه تحت لوائه) حلف هؤلاء الذين شوهوا جوهر الدين حين اتخذوا منه (شرطة روحية) فى خدمتهم والدين منهم براء ، هنأ ماركس البابا على موقفه الذى ينطلق عن ايمان ووجدان دينى اصيل عميق .. ؟ كما أن ماركس هاجم فيورباخ نفسه وهنا نصل

الى وضوح الارتداد لديه ، حين وصـــفه لفيورباخ (بأنه جعل من الوجدان والروح الدينية شيئا راكدا جامدا لا قدرة فيه أو له عــلى التغيير ٠٠ ؟)

ولعل أقوى براهين الارتداد عند ماركس ، تقيمه مع انجـاز لموقف رجل الدين (مانزر) فى حرب الفلاحين وثنائه عـلى دوره الخلاق الواعى كرجل دين ثورى مصلح ٠

وبعد ثلاثين عاما سنة ١٨٧٤ من تاريخ موقف الرفض يأتى ماركس الناضج ليعلن ما هو متجاوز للارتداد ونعنى بذلك ذهابه الى حد السخرية الصريحة من الملحدين ممثلين فى جماعة من المهاجرين البلانكين (نسبة الى لويس اوجست بلانكى (١٨٠٥ ــ ١٨٨١) السجين الدائم وأحد المسئولين عن أحداث سنة ١٩٤٨ فى فرنسا ، لا أودلف بلانكى شـــــقيقه (١٧٩٤ ــ ١٨٥٤) كما التبس على البعض ٠

لقد سخر ماركس من الملحدين البلانكيين الذين حاولوا ــ حسب تعبير ماركس نصا ــ أن يصيروا البشر ملحدين عن طريق توزيع الفتاوى ، يا لها من مهزلة ؟! ٠ ولا شـــك أن قمة البراهين المؤيدة للارتداد الصريح عند ماركس هـــذا البرهان الاخير الذى يتجسد فى النص الصريح الذى نورده وقد استشهد به جارودى أيضا فى تبرئة ساحة ماركس من التطرف والاتجاه به الى الحوار ٠

هذا النص حرفيا يقول فيه ماركس (ان الالحـاد قد عاش وقته ، انه تعبير سلبى لا يعنى شيئا بالنسبة الاشتراكيين الاصلاء ٠٠ ان المعنى لديهم ليس هو انكار الاله وانما تحرير الانســـان) ولقد شكلت هذه التساؤلات حول الارتداد الماركسى عند ماركس اطارا هاما للتأمل واعادة النظر حاليا على مستوى امكانية الحوار مع الدين ، انطلاقا من مبدأ الاجتهاد والوعى بماركس من خـلال

ماركس ، لا من خلال المغالطات والشكليات والمضاربات الا هوائية التى تتم باسمه لدى من يتقمصون رداء الحقد والمكابرة على الدين ورجاله •

ولكن قبل أن نسترسل فى عرضنا لابعاد هـــذا الحوار والاجتهاد بعد الرفض والارتداد ، ربما يجدر بنا أن نشير فى المبحث التالى ولو باختصار الى منطوق هذا الالحاد الذى ارتد ماركس عن تبنيه ، وأرضيته الفكرية ، بهدف رفع الالتباس والاســـتنارة والتوضيح •

المبحث الثـــانى

الالحاد والتبـــاس المفاهيم

ماهو الالحاد ؟ هناك تحديد له مانع جامع ، بمعنى جـــامع لمحتواه ، ومانع لما سواه ؟ دون خوض في القضايا الفلسفية والالهيات وعلاقة الدين با لفلسفة والغوص في التاريخ الفلسفي والديني ٠ واجتهادات المتكلمين وأهل التوحيد وتحفظات من سموا بالزنادقة والمتنصلين ، والاستشهاد بالاغريق كالروافيين وما حول الروافيين وجذور الفلسفة الشرقية القديمة ٠٠ وتعويم الالتباس في التفصيلات باسم رفع الالتباس ، يمكننا أن نشير باختصار الى بعض التحديدات التي تشكل أرضية موضوعية لاستئناس المفاهيم ٠

بالنسبة للالحاد من الخطأ في القول أن ينظـــر الى المفهوم بمعيار الصرامة والالتزام فقد يعني الالحاد مجرد رفض الله أو نفيه، كما يعني الانكار أو الجحود أو العناد والمـــكابرة أو التعويم أو التعميم من خلال الانسان ٠ وهذا لا يتم بشكل موضوعي ، وانما يخضع لاحكام قيمية أو حتى ذاتية ٠

فما أكثر من وصفوا بالالحاد لمجرد أنهم لا يشاركون الآخرين في رؤيتهم للاله ٠ كما أن الالحاد قد يصبح مجرد واجهة تبريرية لكيل الاتهام والتخلص من الخصوم ، كما حدث في الانســـــقة الكنسية وممارستها لاحتكار معرفة الاله ٠ وأيضا قد يعوم مفهوم الالحاد في مفهوم وحدة الوجود (البنتيزم) وكـــذا في مفهوم (الدييزم) أي الاله بلا وحي ٠

فمن المعروف أنه في فترة من فترات المواجهـات الفكرية ، وصفت معطيات (وحدة الوجود) بالالحاد ، وصنف اسبينوزا من لدن لبعض بين الملحدين وحتى الاتجاهات (الديســتية القائلة بالاله دون وحي) لم تنجو من التشكيك والالحاد ٠ هذه الاتجاهات

التى تؤكد وجود الاله ولكن دون وحى ومعجزات كمثال (نظرية كلارك) المتبنية لفكرة اله خالق دون تحكم ، ودون اختصاصات وعناية وخلود •

دون وحى ودون معجزات ، ومن اعتنقوا هذه الاتجاهات أو انطووا تحت لوائها كفولتير ، وروسو ، ومنتسكيه ، بعد أن تحفظوا على الوحى مع التسليم بوجود اله الطبيعة ، ولقد تطورت الاتجاهات الديستية هذه فى انجلترا أيضا خلال القرن الثامن عشر بل وعمت القارة الاوربية ، نذكر كممثلين لها (ادوار هوبير) (ولورد شير بيرى) ، ويعد (تاندل) من أكبر حوارى هذه الاتجاهات ، وهو يرى أن الدين الحق يتمثل فى ممارسة الخلقيات كطاعة للاله وشعائر له •

وفى ألمانيا وجدت أيضا هذه الاتجاهات صدى كبيرا مع اتباع (المدرسة الولفينية) وهكذا تداخلت مواقف انكار الاله مع جحوده، مع نفيه أو رفضه ، مع القول بسلبيته ولا مسئوليته ، وتجريده عن صفاته ، وتحميله وزر الانسان ، أو البحث عنه فى الخلقيات أو تجسيده فى الانسانيات •

هذا التنوع وهذا التداخل ان دل على شيء فانما يدل على حيرة الانسان المنطلقة من نسبية معرفته واسقاط قلقه وتحسره واشتراره لمشاعر الحرمان(هيدجر) أحد رواد الفلسفة المعاصرة ونظريته (الانجست) المعبرة خير تعبير عن هذا القلق ومشاعر التحسر أمام الموت حين قوله (اننى أفكر فى الموت فى كل مرة ألاحظ فيها تآكل زمنى ، لأن ما يجب أن ينتهى فى يوم ما هو منتهى أساسا) ومن ثم كان اللجوء لدى البعض الى المزيد من التطلع والتعمق ولدى البعض الأخر من المفكرين ، الى المزيد من العناد والمجازفة الفكرية ، وتحنيط العقل فى قوالب جاهزة باسم تحرر العقل واشراقه

ان الالحاد ـ حسب تصــــورنا له ـ ملتبس فى جوهره ،

يستغل فى تبرير مواقف الاتهام أو يتخـــذ كرداء لتغطية افلاس المعرفة النسبية حينما تتجه الى المكابرة والعناد ٠٠ فالالحاد ان كان يلتزم بالانكار فى البداية ، فالانكار بدوره يتم على مستوى حقيقه الذات قبل انكار حقيقة الاله ٠ ففى اعتقادنا أن من ينكر الاله انما أنكر معرفته بأبعاد ذاته القاصرة ، وأثبت جهله بنسبية أحكامها ٠ فما نحن كفكر وعقل وتعقل الا انتاجا مكتســبا لمعرفة مشروطة زمانيا ومكانيا وجسديا ٠

مشروطة زمانيا بمعرفة العصور التى سبقتها مضـــافا اليها معرفة عصرها ، ومكانيا مشروطة بجزئية من مجموعة شمســـية محددة بين ملايين المجموعات الشمســـية التى تسبح فى الكون ومجموعاته تسبح باسم ربها المهندس الاعظم الذى حرك النملة كما حرك الملايين من هذه الانظمة الشمســـية فى الكون بكمال الدقة والانتظام (وسخر الشمس والقمر وكل يجرى الى أجل مسمى) ، (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) وقوله (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل ســـابق النهار وكل فى فلك يسبحون) صدقت يا الهى العظيم ، فما أنكرك الا مكابر جهول ٠

وجسديا مشروطة بعطاء عضوى محدد الاهلية والامتصـــاص والادراك ، وبالتالى لا يمكن لمعرفة خاضعة لهذه المستويات الثلاثة أن تزعم التجاوز لاطارها الا اذا كان ذلك من بـــاب المقـــامرات والمجازفات العفوية ٠

فرحلة المعرفة والعلم طويلـــة نحو الكمـــال ، ومـــا هو مجهول يتجاوز بكثير ما هو معروف ، وصدق الله العلى العظيم حين قال بنسبية العلم قبل أن يقول بها (سبنسر) وغيره ، قال جل جلاله بالنسبة لادق الموضـــوعات ونعنى بذلك الروح التى ترمز لقوانين الكون المسجدة لاوامر الله (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) كيف نقبل الالحاد اذن ؟

الا اذا كان تعبيرا عن خيرة وحسرة اليـــائس ، أو مكابرة المعاند الجهول وصدق الله الحق فى قولـه (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وقـــوله (الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) ٠

وأكثر منه عنادا فى الجهالة ، هذا الذى لم يكتف بانكار الاله بل سمح لنفسه بطفولة فكرية عفوية أن يزعم أنه اكتشف (حقيقة نشأة الكون مسجدة فى المادة الخالقة لنفسها بنفسها) واننا لنطرح على من يزعم هذا القول تساؤلا بسيطا يتمشى مع طفولته الفكريه وهو (هل يمكن أن يدلنا على المكان الذى كان جالسا فيه وشـاهد هذا المنظر العجيب للمادة فى بداية الكون وهى تخلق نفســها بنفسها ؟) انه دون شك استباح لنفسه ما حرمه على الآخرين ٠
حرم على الآخرين من المؤمنين أن يقولوا بالوجود الغيبى للاله بينما أحل لنفسه أن يلجأ الى غيبيه البرهان فى النشــأة المادية للكون ٠٠ فهو بهذا قد مارس الدليل الغيبى فى الوقت الذى ينكره على الآخرين ٠

وحتى من سلموا بوجود الاله بعد أن جردوه من صـــفاته وبلا وحى وبلا عناية وبلا شعائرصاغوا الها رضى منالغنيمة بالاياب . ألا يحق لنا أن نتساءل ايضا بخصوصهم كيف يمكن لاله أعطيناه الحق في خلق الكون نمنعه من مزاولة تسييره له ، اللهم الا اذا كان هذا الاله غير واع بعظمة ما خلق ؟ وربما كان من الاولى على أصحاب هذه الاتجاهات الديستية أى (اله بلا وحى ولا عناية ورعاية) أن يكتفوا بالتحفظ على شكلية الشعائر الكنسية واستغلالها بدلا من نفيها أساسا وانكارها فلا يمكن مثلا أن نحمل بحال (مسيحيـة المسيح عليه السلام) ما ارتكبته وشوهته مسيحية بعض (الانسفه الكنيسية) ولا يمكن أن نحمل الاسلام ممثلا فى القرآن وســنه رسول الله عليه السلام وسيرته ، ما وقع فيه بعض المسلمين خلال العصور من أخطاء بشرية فى التطبيق والممارســة ، فلان كانت

شعائر بعض الاديان السماوية قد شوهت ، وقدمت حتى فى شكل هزليات ، فهذا لا يمنع عطاء شعائر الاديان التى لم تشوه صحة عليتها .

فمثلا من يقول بشكلية الصلاة فى الاسلام وهى رياضة وتعبئة للوجدان . والحج الذى يزكى الوعى الجماعى والصيام كترويض النفس وتعالى بها عن الضياع فى استيلاب الاشباع الغرائزى الزائل ، والزكاة وعطاؤها الانسانى لتحقيق العدالة الاجتماعية ، شعار مجتمع الانسان وتحرره ، والوحى الذى نزل على محمد ليقدم لنا من خلال القرآن مبادىء وقيما وأسسا للحياة يقف أمامها ابن القرن العشرين مفكرا مبهورا رغم أن محمد عليه السلام كان نبيا أميا نشأ فى أم القرى مكة وفى عصر الاساطير والخرافات ومر عليه أربعة عشر قرنا من الزمان ، ع أن هناك مبادىء لم يمر عليها أكثر من نصف قرن وأصبحت متجاوزة بالاحداث وتطور المجتمعات .

أما بالنسبة للغرب وما قام به بعض مفكريه من تسفيه للاله ، فلا يمكن بحال أن يعزل ذلك عن جو التغميض الدينى ، وما ارتكبته بعض الانسقة الكنسية من أخطاء ، وما مارسته من قهر أو تبنته من شكليات ، وبالتالى لا يمكن أخذ موقف هؤلاء المفكرين المناهضين لاله الكنيسة ، والمعبد كقاعدة فى تقييم كل الاديان وعبر كل العصور ، وفى كل المجتمعات .

ان ما أبداه بعض مفكرى الغرب فى الفلسفة الحديثة من تحفظات وما تم من واجهات كان بالضرورة انعكاسا للاوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية هناك . فمثلا ما المفكر كندرسيه وقد تأثر به الكثير فى هذا المضمار ، الا معبرا عن ما يلاحظه فى مجتمعه حين قوله (الدين نتاج ذهنى مفسد ساعد على انتشاره مكر القسسة وحيلهم) ، لقد حدث التباس فى المفاهيم والتباس فى التقييم ، وتعميم جزافى للاحكام فجسدت خطيئة الانسان فى الاله وحمل الدين وزر المأساة وذهب المجازفون بالفكر الى حد المناداة

بالعلم كبديل للدين ، وغاب عنهم أن كليهما لازم للانسان •

وهذا ما سلم به ودافع عنه رائد المدرسة الاجتماعية الفرنسية سان سيمون والذى تبنى كارل ماركس الكثير من أفكاره كما هو معروف ، لقد حذر سان سيمون مرارا وحتى وهو على سرير الموت من المجازفة فى رفض الدين باسم العلم (ليس هدف العلم وراثة الدين ، ولا هدف الدين ايقاف تقدم العلم ، وانما تجمعهما أرضية الوفاق والحوار لان كليهما لازم وضرورى لتحرير واسعاد الانسان) •

ولقد لفت نظرنا أن نجد عند ماركس الناضج بعد تعرفه على المدرسة السان سيمونية اصداء لهذا المفهوم السان سيمونى فى ارتداده ، حين أكد فى آخر عمره (أى ماركس) كما ذكرنا فى بداية العرض قوله (بأن الالحاد قد عاش وقته ، أنه تعبير سلبى لا يعنى شيئا بالنسبة للاشتراكيين الاصلاء ، أن المعنى لديهم ليس هو انكار الاله وانما تحرير الانسان) ولكن هل كان لارتداد ماركس فى موقفه من الدين صدى فى الفكر الماركسى بعده بما يدعمه ، ويفتح الطريق للحوار والاجتهاد باسم التفتح الفكرى والرجوع الى الحق بدلا من التمادى فى الباطل ؟• هذا ما سوف نشير اليه بايجاز فى المبحث الثالث والاخير من هذا العرض •

المبحث الثالث

الارتداد الماركسي

عبر الحوار والاجتهـــاد

بعد أن وضحنا معالم الارتداد الماركسي عاد ماركس كما نراه ، أو العودة الى مرونة الرؤية وقبول مبدأ الحوار مع الدين كما يراه الماركسيون الاصلاء ، وبعض الشراح الاحرار من غير الماركسيين ، نشير الى أن الفضل فى اعادة الحيوية لهذه الاشكالية الآن يعود الى المفكر الماركسى الفرنسى الكبير (روجيه جارودى) الذى لعب دورا هاما فى ابرازها ٠

هذا الماركسى الناضج المتحرر ليس فقط مـن دكتـاتوريـة أنظمة الماركسية الجاهزة والمطبقة حسب المتطلبات والاهواء ،وانما من قهر الاحزاب الماركسية المتحكمة والمتسلطة على الفكر الماركسى باسم مشروعية الانضباط فى الخلايا ، والتى حولت هـذا الفكر الماركسى الذى هو ملك للجميع ، وعرضة لكل الاجتهادات الى فكر قدسى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وصاغته فى قوالب مهندسة حسب المنافع والاغراض تحتكر صناعتها والفتوى فيهـا فئة قيادية على رأس الاحزاب تستبيح لنفسها مشروعيـة التفكير لغيرها من القصر ، وكأنها عليهم فى مركز الاوصياء ، وهذا يتعارض مع أبسط قواعد حرية الفكر والتفكير (حلال على حرام عليك) ٠

لقد تعرفنا فكريا على « جارودى » فى الخمسينيات من خلال دراساته البناءة «الاصول الفرنسية للاشتراكية العلمية» ثم دراساته الاخرى العريضة المتعددة والمتنوعة والتى أكـدت لنا ليس فقط أصالة « جارودى » كفيلسوف وانما كمؤرخ للفن ، وأحد العقول الماركسية المتحررة من طاغوت الاحتكـار للشروح الماركسيـة النفعية ٠

ولعل مؤلفاتة : الحرية الانسانية ٠ وهـل يمكن أن تكون

شيوعيا الان · رفض الحياة · وعد الانسان · وكتـــابه الاخير مشروع أمل ·· تجسد هـذا الاتجـــاه المتحرر من القهر الفكرى والتزمت ، وتبرز لنا مدى الوعى عند هذا المفكر الذى لم يعد وحيدا الآن فى انشقاقه وخروجه على الوصاية الهادفة لتحنيط الماركسية وانما يشاركه الكثير من دعاة الحوار والاجتهـــاديين الماركســيين انفسهم : كبعض الاتجاهــات القوية فى الحزب الشيوعى الايطالى وفى الحزب الشيوعى الاسبانى ، وفى الاحزاب اليسارية الماركسيه فى أمريكا اللاتينية ·· يرفعون راية الحوار مع الــدين ، وبصفه خاصة مع دعاة الاشتراكية المسيحية ، لقد ارتد ماركس معلمهــم عن رفض الدين ·

ولاشك أن مؤلفات « موريس كلافيل » الاخيرة : من هـــو المستلب ؟ وهذا الذى أعتقد ! والله هو الله ·· (هذا المفكر الذى يطلق عليه حاليا فى فرنسا « المفكر الظاهرة » لاندفاعه وتفجيراته) قد أبرزت بعض التناقضات فى الماركسية آكلة الاله ، مما جعـــل «جارودى »ينبرى «لموريس كلافيل » فى الرد على تعليقاته° الاخيرة فيوضح له الالتباس الذى وقع فيه بين ماركسيـــة انطلقت تحت تأثير «فيورباـــاخ » برفض قاطع للالـــه ، وبين ماركسى ومرونتة (وأن كان حسب رأينا ارتداده) لتتبنى مبدأ التفاهم ·

لقد أخذ « جارودى » على كلافيل عدم الدقة فى استشـــهاده بنص للشاعر الاغريقى (اسختيلوس) على أنه نص لماركس ، حين قول الشاعر (انى أبغض ، كل الالهة) ·· وكذا تقوله علىماركس بأفكار هى فى الواقع لهيجل وليست لماركس ؟ وأيضـــا مغالاة كلافيل حين وصفه لهدف الماركسية بأنه أساسا منصب علىمحاربه وتدمير الاديان ·

لقد أكد (جارودى) صراحة أن الاتجاهات الشارحة الاصيلة للماركسيين فى ايطاليا واسبانيا وأمريكا اللاتينية ، تهـــدف الى تجاوز النظرة العفوية للدين كمجرد (ايديولوجية استلابية) لان ·

هؤلاء الماركسيين الاصلاء على حد قول (جارودى) لا يتبنون بناتا القوالب الجامدة الراكدة للماركسية والتى لا تتمشى مع الواقع ولا تضع فى حسابها قدرة الوجدان الدينى فى التعبئة ، وانما يلتزمون بمبدأ التفهم الواعى لحركة التاريخ انطلاقا من الاحتكام الى ما هو ملموس عند الملايين ، ويضعون ثقتهم فى قدرة الفن والعلم ليتجاوز بها الانسان التناقضات بدلا من تحنيطها أو تعويمها أو تجاهلها ٠

واذا أضفنا الى رأى (جارودى) الماركسى الملتزم ، رأيا ماركسيا ، آخر لا يقل عنه أهمية ، وهو عالم الاجتماع الفرنسى (هنرى ليفبر) الاستاذ بجامعة باريس ، والذى حرص منذ أكثر من عشرين عاما ، فى مؤلفاته المتعددة (وآخرها مؤلفه « من الدولة» حيث يؤكد أن الدولة فى مجتمعات اليوم حلت محل الاله والانسان والاسرة على حد سواء) على تجديد الفكر الماركسى ، الذى يرى انه تجمد فى شكل معتقدات يقينية غير قابلة للنقاش ٠

وهذا ما يؤكده المؤلف الذى ظهر منذ أسابيع فى باريس باشراف عالم الاجتماع الماركسى (تيكوبو لانتزا) ، وبمشاركة نخبة من المفكرين الماركسيين فى فرنسا ، تحت عنوان (أزمة الدولة) ، وفيه طرحت قضية ضرورة المواءمة للشروح الماركسية مع قدرة التغيير والتكيف ، والتجديد ، والفاعلية للدولة اللبرالية ، وتجاوز هذه الاخيرة لتنبوءات الماركسية بفشلها ٠

كذا اجتهادات أحد كبار المختصين المحايدين فى شرح الماركسية فى فرنسا وهو (مكسمليان روبيل) ومؤلفه الاخير عن نقد الماركسية بالماركسية ، نلاحظ موضوعيا أن ماركسية الحوار والاجتهاد تكسب الارض على مستوى الفكر من تحت أقدام ماركسية الجمود ، والقوالب النفعية الجاهزة لها ، والشعارات المفرغة من محتواها بعد أن صدرت الى العالم الثالث ليشتر بها جانب من النخبة ٠

بل نذهب الى أبعد من ذلك وهو أن ماركسية الحوار والاجتهاد الآن تعطى البراهين على صحة ما نتبناه ، سواء عند الشراح الماركسنيين القائلين بمرونة الماركسية ، أو الشراح المختصين فى الماركسية من غير الماركسيين (ونحن واحد منهم) القائلين صراحة بارتداد الماركسية لا عند الماركسيين بعد ماركس وانما عند ماركس فى حد ذاته كما وضحنا سلفا ؟ نؤكد ذلك لا من خلال مجازفة أو تحريف منا لافكاره ، ولكن من خلال احتكام بماركس على ماركس ٠

واننا لنشعر بارتياح حينما نرى ماركس باسم العلم لم يغبن فى ابراز رفضه كما لم يغبن حين تطور فكره بابراز ارتداده فى نضوجه عن هذا الرفض ، (كذلك يضرب الله الحق والباطل ـ كما قال جل جلاله ـ فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) ٠ غير أن الارتداد وقد لوحظت مسيرته بوضوح فى ماركسية ماركس عبر مراحلها المختلفة أصبح بعده نعتا يلصق على كل من لا يتفق مع الآخرين فى الرأى من الماركسيين ؛

كمجرد مثال شهير نعت لينين لكاوتسكى فى دراسته (كاوتسكى المرتد) ، وباسم الارتداد أيضا وقعت تصفيات دمويه بين الماركسيين أنفسهم (بوخارين كمثال) ، مع أن الارتداد انطلق من ماركس الذى بات بدوره لدى بعض المحنطين له يصفى من جوهر تطوره حينما تزيف حقيقته ويرتفع به الى مستوى القداسة ، تحت وابل من الشعارات والواجهات ، والطقوس الحزبية ، والمقنعات الكلامية ٠

ليعلم الجميع أن ماركس كأى مفكر يخطىء ويصيب ، وربما قدرة تفكيره فى تطوره وارتداده ، لا يعادلها الا جهل تفكير محنطيه، فى ركوده وجموده ٠ ماركس عاش عصره بعمق اما أصحاب الشعارات الفورية باسم الماركسية الجاهزة فمأساتهم انهم عاجزون

عن معايشة عصـــورهم ، فاحتكموا الى التغميض بدلا من الوعى ، وباتوا يمضغون الرفض بعد أن نقيأه ماركس ، وغاب عنهـــم أن عبقرية الانسان لا يمكن اشباعها بالمستهلكات . ورفع الشعارات . وانما بالتصدى لعمق الاشكاليات ، وأى اشكالية أجدر بالتصدى لعمقها . من اشكالية مصير الانسان وغائيته ..

خلاصة

قد يمكن لمادية أن تشفى غليل الانسان على مستوى التلذذ واللذة المؤقتة ، والاشباع الزائل بزوال زمانه ، ولكن هل يمكن أن تعطيه سعادة التحقيق والقناعة والرضى عن الذات ؟ قد يكون العكس هو الصحيح ، وهو أن التمتع باللذة ، ومزاولة الاشباع الاستهلاكى يتطلب دائما المزيد من اللذة والاشباع ، فيصبح الانسان مستلبا منبثا (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) متاع الدنيا زينة لها ، وليس جوهرا وهدفا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولم يقل سبحانه وتعالى (جوهر الحياة الدنيا) .

ان المعادلة الانسانية من الخطأ أن ترى من زاوية الجهاز الهضمى وترفيه الجسد واشباعه ، فهذا جانب وسائل الحياة للانسان ، أما هدف حياة الانسان أى جوهرها ، وهو الجانب الاساسى من المعادلة ، فيلمس فيما هو أسمى ، يلمس فيما يميز الانسان عن الحيوان ، يلمس فى التساؤل والمشاعر الواعيةالمتفهمة والعقل المتدبر المفكر الذى حاول أن يكتشف علة وجود هدفه ورسالته فى الحياة ، لا فى ملء بطنه فقط .

ولكن قد يطرح تساؤل ، والبطون الجائعة ، والاجساد العارية ، والاقدام الحافية من الملايين ؟ مشكلتهم الاساسية ليست هى معرفة علة الوجود والبحث عن الاله ، وانما ضمان أبسط ضروريات العيش فى الحياة ، نجيب ومتى تغذت البطون الجائعة بدلا من الاكل ، بالشعارات ، ومتى اكتست الاجساد العارية بدلا من اللباس بالشطحات المذهبية والمضاربات ؟ ومتى انتعلت الاقدام بدلا من الاحذية بالالفاظ الايديولوجية والتعبيرات .

ان مجتمعاتنا العربية الفتية ليست فى حاجة الى المزيد من تسويق المتاهات المستوردة من أى جهة كانت من الجهات بهدف تمزيقنا فى المجازر الدولية للمراهنات ، والتى سوف تؤول بنا

لا محالة فى النهاية ، بعد تحفية الاقدام ، وتجويع البطون ، وتعرية الاجساد الى تعرية وفناء الذات • علينـــا أولا أن نثق فى ذاتنا ، وأننا أمة ذات رسالة ورسالة خالدة لاسعاد الانسان لا على الارض العربية فحسب ، وانما فى كل مكان •

على الاجيال الصاعدة أن تعى بهذه الرسالة وانها لم تخلق عبثا وان ما لديها من خيرات مادية ، ومن أصول للحضـــــارات الانسانية ومن مواقع أرضية جغرافيـــــة تحكمية جعلها مطمع استحواذ ، فلا تسمع لاى صوت خـــارج صوت ضميرهـــا • وهو ضمير مسلم الانتماء ، عربى الارض ، واللغة والتراث ، كفيل حينما يعبأ بالعمل ويوعى بالهدف أن يفعل المعجزات •

ان كان انسان عالمنا الفتى العربى • فى غالبيته يعـــانى من أزمة ضروريات الحياة ومع هذا لم تفقده أزمته وعيه بانسانيتـــه فانسان عالم التقدم الصناعى بغربيته وشرقيته يعـــانى من أزمة حيوانيته التى أطلق لاشباعها العنان ، ولجأ الى الغش الجمـــاعى للامم وليس فقط على مستوى الافراد ، والنفاق والخداع من خلال مستودعات التعبيرات التى ابتكرها وتبناها كالتكتيك والاستراتيجيه (فن الكذب والخداع الفورى ، والكذب والخداع الطويل المدى) لابتزاز خيرات الشعوب المغلوب على أمرها ، واستنزاف عقولها فى المتاهات •؟ •

ان هذه الازمة الحيوانية للانسان الاستهلاكى عند من يسمون أنفسهم بأرباب التقدم والارتقاء ساعدت على تزكيتها لديهم غيبـــة المشاعر الروحانية للوجدان ، وغيبة الحب وهما أســـــمى ما فى الانسان ؟ ولكن قد يطرح علينا هنا أيضا تساؤل وهو غيبة المشاعر الروحانية للوجدان نعم ، ولكن غيبة الحب ، والحب يمارس الآن فى كل مكان ؟ نجيب أن الحب لا نعنى به حب الاستحواذ الاستهلاكى والاستمتاع ، وانما الحب المحرك لاسمى ما فى المشـــاعر من تفان وتضحية ، واشراق وهو حب لا يمكن عزله عن روحانية الوجدان

المنتهى فى قمته بحب الاله فى العناء وفى الصفاء ٠٠ وكلها أمور تتناقض مع نفعية عصر المتقدمين بحيوانية الانسان ٠

الحب فى نهاية القرن العشرين انتهى فى قمته بحب الاشياء٠ حتى الحبيب أصبح بدوره بضاعة شيئية تقتنى لا بد من تحديد مدخولها ، ومردودها الاستهلاكى ، وبالتالى لم يكن غريبا أن نرى الشباب وهو الذى يجسد فترة التطلع والاشراق العاطفى ، يخفى خيبة مشاعره تحت ضباب دخان المخدرات ، ويستبدل حواره الروحى الرفيع باشباع الملذات ٠

انهم جيل فلاسفة الارض فى مواجهة فلسفة السماء ،فلاسفة التدمير ، ومحترفى الفنائيات ممن أشكل عليهم ، فاعتقدوا أنهم دفنوا الاله بينما فى الحقيقة قاموا بدفن الانسان ٠ لقد أتيح لنا أن نطرح الكثير من هذه الاشكاليات الملتبسة فى حلقات التحكيم الخمس بالتليفزيون العربى سنة ١٩٧٥ حينما أنيط بنا التحكيم بين الاسلام والرأسمالية والماركسية ووصلنا فى نهاية التحكيم الى نتيجة واضحة وهى ، على التيارات الفكرية العربية المعاصرة كى تكون فعلا فى خدمة الانسان العربى لبناء أمته الاسلامية العربية أن تعيد النظر فيما لديها وعلى مستويات ثلاثة : المستوى الاول مدى معرفتها بأصالة تراثها وعطائه الاسلامى لا الاكتفاء بتكرار رؤوس الموضوعات واشترار الاقاصيص والحكايات عبر تسلسل تاريخى سطحى لها ، وانما من خلال استيعاب معتمد على قدرات مناهج العصر لا استلابياته ٠

المستوى الثانى الابتعاد عن المجازفة بالشعارات التمذهبية التى تعنى كل شىء ولا تعنى أى شىء محدد ، انماط للزينة ، والتعبئة الكلامية ، قد غاب عن الكثير أن العرب لديهم فائض من الكلام ٠ ومن الاولى بالتالى التعرف على عمق المذاهب المعاصرة لا مجرد التحلى بشعاراتها حتى لا يضاف الى جهلنا بماضينا وأصالتنا جهلنا لحقيقة ما يدور حولنا ٠

أما المستوى الثالث فهو تعرفنا على واقعنا العربى المعاصر كما هو أولا ، لا كما يجب أن يكون • فلا يكفى لمفكر عربى أصيل أن يكون عارفا بأبعاد تراثه وجذور أصالته متعرفا على ما هو ايجابى فى قدرات مذاهب عصره ونظرياته ومناهجه ، وانما مستوعبا لواقعه لا من خلال نصوص ووثائق مكتبية أو من خلال رؤية اطلالية لا تفصل بين معطيات الماضى كنبراس ومتطلبات الحاضر كضرورة والتزام ، أو من خلال تغن بشطحات تأملية مستقبلية ، أو من خلال ما يقوله الآخرون الاجانب عن أرضه وواقعه ، وانما من خلال ما يراه ويلمسه هو فى المعايشة انفعلية لقراه وبواديه ، فلا يكفى النخبة أن ترى نفسها من النخبة ،وتأخذ أحاسيسها على أنها أحاسيس الملايين التى قد تصل نسبتها الى ٧٥٪ ــ ٨٠٪ من عناصر الامة •

ان أحاسيس هذا الانسان العربى المسلم البسيط المجسد لهذه الملايين ، وقد عايشناه فوق تراب قريته فى كثير من أقطار أمتنا العربية المسلمة ، ولمسناه فى حشوده الكبرى ومسيراته فى مغرب العرب ، ومشرقهم ، انسان أصيل حقا ، معطاء ، معتز بأرضه ودينه ، اعتزازه بقبر أبيه وجده • فالارض بالنسبة له ليست فقط مجرد طبيعة تستغل وانما هى محتواه وكيانه ، والدين ليس فقط عقيدته وانما قوته وتعبئته دون تردد هو حاضر دائما فى وعيه من خلال ذكره لاسم ربه ، ينشده فى حالة مرضه ، وترحاله ولقائه ، وسلامه ، ومولده ، وزواجه ، ومماته ، فضياع الدين أو اذابته يعنى ضياعه واذابة ذاته •

وهكذا وفى النهاية ، ان كان لنا من حوار مع الماركسية كنهج واجتهاد ونعنى بها الماركسية التى ارتدت وقبلت هى فى حد ذاتها، مبدأ الحوار والاجتهاد مع الدين ، فلا بد من أسس واضحة صريحة لهذا الحوار ، الذى نقبله معها كما نقبله مع غيرها ومع أى نهج علمى بناء من مناهج العصر ، لاننا لا نعانى من عقد القصور والنقص ، كذلك التزاما منا أساسا بمبدأ القرآن الذى لا يرفض

الحوار فى الدعوة ، والموعظة والمجادلة للاقناع (. أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن) •

هذه الاسس الصريحة الواضحة بالنسبة لنا هى ــ لا حوار ولا اجتهاد فى غيبة الله ــ لا حوار ولا اجتهاد فى غيبة أصالة التراث ، ومن ثم لا حوار ولا اجتهاد فى غيبة الاسلام ، ومن أجل اذابة عروبة الذات • ألسنا (خير أمة أخرجت للناس) بشهادة الله العلى القدير ، وصدق مسيرة التاريخ ؟ رغم طعنات المتسلطين على مصير الانسانية ، قديمها وحديثها ، من سماسرة الحروب ، وتجار الشعارات •

حـــوار مـــع المـــؤلف

الفهـــرس

الحوار الاول

منذ ثلاثة أعوام قدم الاستاذ أحمد فراج فى برنامج نور على نور هذا المفكر العالمى الذى رشح أخيرا من الهيئات العلمية العالمية لجائزة نوبل فى الآداب السيد الدكتور رشدى فكار .. أحد أبناء الصعيد فى مصر وأحد أبناء الازهر الشريف واستمعت ورأيت بالصدفة حلقة برنامج نور على نور وشد انتباهى أن المتحدث ـ الدكتور فكار ـ جديد .. فى كل شىء .. فهو يظهر أمام المصريين لاول مرة !!

فهو جديد فى شخصيته وفى أفكاره وفى منهجه العلمى فى الحوار .. وسألت من هذا الرجل ؟ حتى عرفت فى نهاية البرنامج أنه مصرى يعيش فى أوربا وفى المغرب العربى ..

وهو يعرف من هو ماركس جيدا .. بل يعرف ويؤكد أنه أى ماركس يجهل الاسلام وأهم من هذا أن هناك نظرية جديدة فى علم الاجتماع صدر عنها مؤلف من خمسة مجلدات تحت عنوان (المراهنة الصناعية) طبعه فى باريس .. والمجلد الخامس من هذا السفر الخطير أو هذه النظرية يحمل اسم رشدى فكار تحت عنوان (الصناعة وأزمة الحضارة) ويقول فيه رشدى فكار أن حضارة هذا العصر هى حضارة الاشياء وليست حضارة الانسان انها حضارة تستهلك نفسها .. حضارة تسعى لتطوير الصاروخ والثلاجة فتتحضر الاشياء كلها من الابرة حتى مركبات الفضاء ولا يتحضر الانسان !! اذن ما هو البديل ؟؟ حتى لا يظل انسان كوكب الارض حيوان تجارب للحضارات ؟؟

البديل فى رأى رشدى فكار هو بعث حضارة الانسان لترث حضارة الاشياء ٠٠أى حضارة تستمد مقوماتها من الدين ٠٠ من تعاليم السماء ٠٠ وليس من تعاليم الارض ٠

ويرى رشدى فكار أن هناك فرصة تاريخية أمام العرب ـ بعد حرب أكتوبر ـ لكى يكون لهـــم النصيب الاكبر فى وراثة الحضارة ٠٠ مع الصين ٠٠

فالانسان العربى وليس السلاح السوفييتى هو الذى حقق معجزة حرب أكتوبر التى هى فى رأى رشـــدى فكار أهم معجزة حضارية بعد بناء الاهرامات لان الانسان المصرى العربى المتخلف فى كل شيء قد تفوق على نفسه وهزم أعظم قوة عسكرية منتمية لحضارة أوربا ٠!!

وهذا هو رأى علماء العالم الذين التقى بهم رشـــــدى فكار وتحدثوا معه عن حرب أكتوبر وهم يبحثون عن وريث لحضـــارة القرن العشرين ٠٠

وأصبح الوريث هم العرب والصـــين ! وحول عقل الامة والصراع الطبقى تحدثت مع رشدى فكار منذ عامين ٠

قلت له : يا دكتور فكار ٠٠ ما رأيك فى الصراع الطبقى ثم هذا يمين وهذا يسار وهذا ناصرى ٠٠ وهذا ٠٠ الخ وهل هـــذا الصراع معوق لبعث الحضارة فوق أرضنا ؟

قال : نعم ٠٠ انه صراع معطل لمصر وللعرب لانه يشغل عقل الامة أى النخبة أى العلماء ورجال الفكر فى مصر وفى الوطن العربى بمعارك جانبية غير معارك البناء والتعمير والتعليم وانشاء الخدمات أى بناء الحضارة ٠٠ ان النخبة هى عقل الامة ٠٠ رجال العلم ورجال الفكر هم عقل الامة ٠٠ هم بناة الحضارة ٠٠ فاذا وقعوا فى كمين صراع الالوان ٠٠ أى الصراع الطبقى وخاضوا معارك هذا الصراع فمن سوف يبنى مصر ٠٠ والوطن العربى ٠٠ انها مؤامرة ٠٠

وقلت لرشدى فكار :

ـ معنى هذا أن الثروة الفكرية والعلمية فى مصر ٠٠ أى ذخيرة العقل البشرى فى مصر التى تتحمل مســــئولية الحاضر والمستقبل قد استدرجت من قوى خارجية الى كمين صراع الالوان بهدف تحطيم قدرات الوطن على البعث الحضارى ؟؟

قال :

ـ نعم ٠٠ انها مؤامرة فرضت على النخبة فى مصر والوطن العربى من خارج حدود هذا الوطن لشغل النخبة فى العالم الثالث بمعارك الآخرين ٠٠ اننا حينئذ نحارب معاركهم ٠

قلت :

ـ اذن معركة صراع الالوان التى فرضت على النخبة فى مصر والوطن العربى سوف تستهلك طاقات الامة ؟؟

قال :

ـ اذا لم نواجه هذه المؤامرة بكل قوة فانها سوف تشــغل وقت الامة كله وربما أوصلت الجماهير الى معــارك الدم ٠٠ انه الصراع الطبقى الذى لا شأن لنا به نحن السلبيين ؟؟

وأضاف :

ـ ان قضية صراع الالوان أى قضـــية الصراع بين النظم السياسية والاقتصادية أى الصراع الطبقى هى قضية وهمية فى مصر ٠٠ ؟؟

ـ كيف ؟؟

قال :

ـ أنا أو أنت من الصعب جدا أن نفهم كيف يتصارع انسان من أجـــل شيء لا يراه وليس في متنـــاول يده فالصراع بين الايدولوجيات المعاصرة هو صراع خاص بالدول المتقـــدمة ·· هو صراع القوى العظمى ·· كل يحاول أن يكسب الارض والبشر·· وهنا نطرح هذا السؤال : ماذا يفيدني أنا في مصر أن أحارب معارك القوى العظمى ·· انني أترك معارك بلدى لاحارب من أجل الآخرين أين اذن الانتماء ·· أين العقيدة ·· أين التاريخ ·· أين الشخصية والاصالة ؟؟

ان ما يعنيني أنا المنتمي للارض المصرية العربية هو بنـــاء أمتي وبعث تراثي الحضاري ·· أحارب وأصارع من أجل هـــذا فقط ·· لكن ماذا يفيدني أن ينتصر هذا الاجنبي القوى على ذاك الاجنبي القوى ·· الذي يعنيني أن أنتصر أنا ·· وهذا ما يحاولون منعه ·· أو اجهاضه ·· انهم لا يريدون لي أن أنتصر في معاركي ·· بل يريدون أن أنتصر في معاركهم هم ·· أى أناضل من أجلهم وليس من أجل مصر والعرب !!

قلت :

كيف يمكن للنخبة المصرية أذن الخروج من هذا الكمين الخطير المميت ؟

قـــال :

ـ لقد فرضت على مصر من خلال مخطط صراع الالوان (الصراع الطبقي) تبنى قضايا ومفاهيم لامصلحة لمصر ولعلماء ومفكرى مصر في الاقتراب منها .. مجرد الاقتراب منها .. فما بالك بالانتماء لهذا المخطط المستورد ؟؟ أن مخططات الصراع الطبقي المستوردة وجدت الرواج في مصر والبلاد العربية وبلاد العالم الثالث دون أن تكون لهذه المفاهيم الدخيلة علاقة بأرض مصر والعرب أو بمشاكل مصر والعرب أو بمستقبل مصر والعرب .

ان القيادة الفكرية والعلمية في مصر عليها أن تعرف قبل كل شيء أن كارل ماركس لم تتح له أية فرصة ولا هو أعطى لنفســه هذه الفرصة لدراسة الدين الاسلامي مثلا أو التعمق في الفـــكر الاسلامي ·· لم يقرأ القرآن ·· ومع ذلك فهو يشجب في نظريته

الدين ‥ وينسب كل شيء للمادة ‥ وليس هـــذا المنهج علمي ‥ (١) .

وسألت رشدى فكار :

ـ ألا ترى أن هناك أملا فى الخروج من هذا الكمين المروع ؟؟

ـ ان القيادة الفكرية والعلمية فى مصر أى النخبة صانعـــة الحضارة قد بدأت بالفعل فى الافلات من هذا الكمين ‥ بموقف حضارى بالغ الهاية والاصالة منذ حرب أكتـــوبر ‥ وأحب أن أقول أن الخروج من هذا الكمين معناه بالنسبة للمثقفين فى مصر وهم قلة وقعت فى الكمين هو النجاة من الجهل والتجاهل ‥

ـ اشرح لنا ذلك ‥ ؟؟

ـ ان النخبة المصرية القادرة على العطاء حين تقع فى كمين الصراع الطبقى الدخيل تصبح متجمدة ولا تملك غير فتات الفـكر وتتجمد بعد ذلك ملكات ومواهب أفرادها وهنا لا يكون خلق أو ابداع ‥ بل ركود حضارى ‥ أو انتماء لحضارة الاشياء !

ومضى رشدى فكار يقول :

اننى أحذر طلائع الامة من مفكرين وعلماء وبناة حضارة من أن تنفذ اليهم بعد الآن مفاهيم اللعبة العالمية لصراع الالوان تنفذ الى العلماء والمفكرين فى مصر كأفراد لتستأصل قدرتهم ثم تعومهم فى بحر الغموض والسطحية والضياع الفكرى ثم تفرض عليهم تبنى قضايا هى ليست قضاياهم وتفرض عليهم وهذا هو العجب العجاب أن يستبسلوا فى الدفاع عن قضية الآخرين ‥ أى قضية الدولة العظمى الاجنبية أى يقوموا فى مصر بدور الاخرين ثم لا يبقى لديهم فائض من الطاقة للقيام بدورهم فى وطنهم ‥ تلك هى المؤامرة !!

---

(١) حديث رشدى فكار مع احمد فراج فى برنامج « نور على نور » .

أزمة الانســــان المســـلم

وليست أزمة الاســــلام

سألت الدكتور فكار :

ـ يردد الماركسيون العرب أى الذين يحاربون معارك الشعوب الاخرى فى مصر وينسون معارك مصر أن الاسلام فى أزمة ٠٠ وأن الدين ليس الا أفيون الشعب ؟؟

فما رأيك ؟؟

قال :

ـ ان الازمة ليست أزمة الاسلام ٠٠ بل هى أزمة الانسان المسلم فى مصر وفى الوطن العربى ٠

قلت :

ـ تطرح قضايا الدين أى قضية الاســـلام فى مصر الآن والاصوات ترتفع من الخوف من النهاية ٠٠ نهاية هذا الدين ٠٠ وهذا الخوف له ما يبرره أمام زحف مخطط صراع الألوان ٠

قال الدكتور رشدى فكار :

ـ ما من مرة تأزم فيها الانسان المسلم الا وتصور أن الازمة هى أزمة الاسلام وهذا خطأ كبير ٠٠ اننـــا بذلك نحمل الدين

أخطاء الفرد المسلم (١) !!

ان الازمة هى أزمة هذا الانسان نفسه وليست أزمة الدين ·· وفى كل مكان من بلاد المسلمين يرتفع صوت الانسان المسلم أمام انصراع الحضارى وأمواج عصر المادة وسحب الالحـــاد ·· وا اسلاماه ··

والانسان المسلم على خطأ واضـــح ·· لانه يحمل الدين المسئولية بدلا من أن يتقدم هو ويواجه الازمات بنفسه وباسمه·· ومع ذلك فالوهن يسيطر عليه فى بداية الطريق حينما ينطلق من مبدأ الشك ·· لا يثق فى أى شىء ·· يشك فى كل شىء ·· بل يشك فى سلامة منطلقه الروحى وصلاحية تطبيقه وصحة هدفه !!

ـ اذن ما هى القضية الآن ··؟؟

ـ القضية هى قضية المسلمين جميعا ·· والازمة أزمتنا نحن المسلمين ·· فلا يجب أن نحمل الاسلام بلا دراية أطماعنا وأوزارنا بل وأهواءنا ·· ولا نحمله تقلباتنا ونزعاتنا واتجـاهاتنا ومآربنا وأخيرا نحمله أهدافنا المصلحية الشخصية !!

بمعنى أننا نعمم الاحكام ثم نخلط الصدق بالباطل فيتكلم الجاهل بلغة العارف والمتهور يأخذ مكان العاقل والمنحرف يأخذ دور الشريف ثم نغوص فى متاهات الالتباس ·· أى التجريد !!
الاسلام بخير ··

ولو أن مصيره قرر فى كل مرة من خلال أزمات الانســان نفسه على مر العصور لما وصل الاسلام الينا ونحن فى هذا العصر ·· بل لانتهى الاسلام بعد أول أزمة !!

---

(١) جريدة الجمهورية فى الصفحة الدينية ـ من حوار مع على الدالى ·

لقد تخطى الاسلام كل أزمات الانسان وتخطى كل الاحداث العظمى العاصفة وبعد أربعة عشر قرنا من المسيرة الخالدة يشهد العالم أن الاسلام قوى بمبادئه صامد كالصخر ثم هو أصيل بعطائه صالح بوجوده صحيح ببقائه واستمراره .. سيبدأ يكسب الارض ويحقق النصر فى القلوب المتدافعة اليه فى كل القارات .. ذلك أن الاسلام دين شامل متجاوز لكل الفلسفات الاساسية التى ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده .. بل وتجاوز كل الاديان السابقة له والتى احتواها كمراحل لوحدته وتكامله فهو الدين الاكمل الذى أعطى للروح اصالة وأسعد جسد الانسان أصل الروح ببقائها بعد زوال الجسد المادى فهى تمثل أمر الله ..وأسعد الجسد بقوانين الحياة الدقيقة الحكيمة ومن هنا كان الانسان مسير حسب أمر الله (أى الروح) وهذب الاسلام النفس باعطائها أساسا للتنشئة السوية .. لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فجعلها مسئولة تماما بعد أن أضاء أمامها ظلمات الطريق وحدد معالم الطريق على أن تمثل النفس ارادة الانسان الخيرة التى سوف تحاسب لانها مسئولة عن تنسيق علاقة الروح بالجسد .. ثم نرى سعادة الانسان تتمثل فى المذهب الوسط لانه هو المذهب الامثل للحياة .. (١)

قلت للدكتور فكار :

ـ هل الانسان مخير أم مسير .. ؟؟ انه سؤال يعترض طريق المجادلة بالتى هى أحسن ..

قال :

ـ الانسان مسير على مستوى الروح التى هى (أمر الله) وارادته ثم هو مخير على مستوى النفس لانها ارادة الانسان ...

---

(١) من حوار مع على الدالى فى جريدة الجمهورية منذ عامين .

حسب سلوكه الذى ارتضاه سواء كان سويا أو غير سوى !!

وعند هذا الجزء من الحوار نستطيع من خلال معـــانيه أن نستوعب بعض أفكار كتاب الماركسية والدين الذى هو كتاب علمى تفسره أفكار صاحبه التى عبر عنها فى أكثر من حوار معى عـــلى صفحات الجمهورية على مدى ثلاثة أعوام ..

تجـــاوز الصراع الطبقى
بقدرة الخـــلق والابتـــكار

قلت لرشدى فكار : (١)

ـ من هم أساتذة كارل ماركس ؟؟ أو من هم الذين أسسوا الفكر الاشتراكى ؟؟

قال :

ـ فى العصر الحديث هم : سان سيمون وفورييـه وأوين وبلانكى وكابيه وبيكير .. وهم الذين تتلمذ عليهم ماركس ..انها المدرسة الفرنسية التى لا ينتمى اليها ماركس الالمانى ومع ذلك فهى المدرسة التى تعلم فيها !؟

ـ وهل هؤلاء جميعا من أساتذة ماركس يؤمنون بالصراع

قال :

ـ سان سيمون أحد عمالقة المدرسة الفرنسية التى أخـــذ عنها ماركس نفسه الكثير يقول أنه يمكن اذابة الاستغلال الطبقى عن طريق آخر غير الصراع الطبقى ويؤيده فى ذلك أتباعه مفكرى المدرسة الفرنسية ..

ـ اذن كيف يمكن أن نطرح القضية الهـــامة فى مصر .. قضية السلام الاجتماعى ؟؟

قال :

---

(١) من حوار مع على الدالى فى جريدة الجمهورية منذ عامين .

ـ نطرحها فى غيبة المفاهيم الطبقية نهائيا ..

ـ كيف ؟؟

قال :

ـ نستغنى عن المفهوم الطبقى بطرحه كمجرد اصطلاح يرمز لصيغة التدرج الاجتماعى كما هو الحال بالنسبة للاتجاه الليبرالى .. وهو اتجاه لا يميل الى تجسيد الطبقات الاجتماعية كوحدات ملموسة حية فى المجتمع ولها وجدان ولها قدرة تعبئة ..

قلت :

ـ اذن البديل للصراع الطبقى هو الاتجاه الليبرالى . ؟؟

قال :

ـ ان التطور عند الانسان يتجاوز الصراع بالبديل ..

ـ ما هو البديل فى مصر .. ؟؟

قال :

ـ البديل هو رفع مستوى الطبقات الاجتماعية الاكثر فقرا والاكثر عددا لانها هى محور قياس تقدم المجتمع ورفاهيته فلا يمكن لرفاهية القلة أن تكون هى رفاهية المجتمع والعكس صحيح ..

وهنا سألت رشدى فكار :

ـ قل لى .. هل انتهى الوجود الطبقى أو الصراع الطبقى فى المجتمعات الماركسية .. أى المجتمع بلا طبقات ؟؟

قال :

ـ لقد وقع المؤسسون للاشتراكية العلمية (الشيوعية) فى خطأ كشفت عنه التجربة الطويلة فى التطبيق .. فى ظل حكم الطبقة الواحدة !!

ـ ما هو هذا الخطأ ؟؟

قال :

ـ الصراع الطبقى رغم محاصرته فى هذه المجتمعات والحد منه وكذا الاستغلال الطبقى الا أن هذا كله لم يضع نهاية للوجود الطبقى بقدر ما أكسبه المزيد من الشرعية ٠

ـ كيف ؟

قال :

ـ لقد ألبسه رداء الحل الامثل لمشاكل وتناقضات المجتمع وهنا التقى مع زميلى العـــالم الكبير « جورفيتش » (١) الذى كان حتى وفاته رئيسا للمجمع الدولى لعلماء الاجتماع ٠٠ هو يقول . أن الوجود الطبقى ملموس فى كل المجتمعات البشرية المعاصرة ـ ليبرالية واشتراكية ـ ولكن بدرجات متفاوتة وهذا هو الخطأ أو الالتباس الذى وقع فى الحقيقة ٠٠ لان الوجود الطبقى ليس مصدر المشكلة لكن المشكلة هى انهاء أو وضع نهاية للاســتغلال الطبقى كما سبق أن قلت برفع مستوى الطبقات الاكثر فقرا والاكثر عددا ٠٠ وبقدرة الخلق والابتكار ٠

قلت للدكتور فكار :

ـ نأتى الى السؤال الاهم ٠٠وهو الوضع بالنسبة للمجتمعات الاسلامية ٠٠ لانى أعتقد يا دكتور أن القضية بالنسبة للصراع الطبقى فى المجتمع الاسلامى مختلفة تماما عنها فى أى مجتمع آخر ٠٠ لان هذه المفاهيم العلمية للمجتمعات الاوربية هى مفاهيم تبلورت من خلال مسيرة حضارة غير حضارتنا ٠٠ ومن معتقـــــدات غير

---

(١) جورفيتش هو عالم فرنسي ويعتبر احد خمسة فى العــالم تخصصوا فى أصول الماركسية ٠

معتقداتنا ٠٠ اننا أمة الاسلام ٠٠ أى أمة الوسط ٠٠ أى السلام الاجتماعى أليس كذلك ؟؟ (١) .

قال الدكتور فكار :

ـ بعد أن سلمنا جدلا بالوصول الطبقي يجب علينا الالتفات بعمق وبفكر جاد ووعى عميق للمبادىء الاسلامية الحنيفة والتى تقول بالوجود الطبقى انطلاقا من الدرجات التى تحددها كفاءة الانسان وقدراته وأهليته (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) .

هذا قول القرآن ٠٠

وهو القول الفصل ٠٠

اذن تبقى أمامنا قضية الاستغلال الطبقي والصراع الطبقى .

ما هو الطريق ؟؟

وما هو الحل ؟؟

أقول معك أنه من الخطأ أن نطرح قضية الصراع الطبقى والاستغلال الطبقى فى المجتمع الاسلامى بصفة عامة أو فى مصر التى تضم شرائح هذا المجتمع العربى الاسلامى ٠٠ أقول : من الخطأ طرح هذه القضية هنا فى غيبة التراث الاسلامى ٠٠

وفى غيبة الوعى بالشخصية الاسلامية والعربية ٠٠

ان اعطاء حلول فى شكل قوالب جاهزة ليس موقفا جادا لان خير ما يحتكم اليه فى معرفة الواقع الاجتماعى هو الواقع الاجتماعى

---

(١) من حوار المؤلف مع على الدالى المنشور بجريدة الجمهورية منذ عامين .

نفسه .. فهل الواقع الاجتماعى الاسلامى العــــربى هو مجتمع يتكيف ثم يتبلور من خلال الصراع الطبقى . !؟؟

أم بفضل المبادىء العظمى التى يؤمن بها كل فرد فى هــذا المجتمع بصرف النظر عن انتمائه الطبقى .. هو ســؤال هام فى الواقع .

ذلك أن الانسان المسلم بتكوينه وتمايزه وبعطائه لديه فائض من الصراع .. وما علينا الا أن نستنير ببعض المفاهيم الاســلاميه العربية ونتأمل (مثلا) فى كلمات وأفكار (ابن خلدون) حــول العصبية والنعرة والنخوة والتفاخر والحماسات الجاهلية ..

ان الانسان العربى بطاقاته الانفعالية وفائض ســخونته وقدرة تأثير الكلمة فيه بل والايماءة ليجعل المفكر الاجتماعى الرزين قبل أن يناقش قضية الصراع الطبقى بمفهوم الفكر العالمى عليه أولا أن يتعرف على عمق هذا الانسان الآن وما رسب فى باطنه من ترات ومبادىء حتى لا يقع الباحث أو العالم فى مخاطر المجازفة الفكرية وثمنها كما نعلم فادح وخطير ..

قلت :

ــ الانسان العربى اذن مختلف عن غيره .. ؟؟

قال :

ــ نعم .. الانسان العربى للاسباب التى ذكرتها مختلف عن غيره من الناس فى المجتمعات غير الاسلامية ..

قلت :

– اذن لديك فكرة عن موقع الانسان المسلم العربى من خريطة الصراع الطبقى ؟

قال :

– أقول لك بوضوح ودون مبالغة أن التاريخ أو فلسفة التاريخ قد أكدت لنا أن الحلول لقضايا الانسان العربى المسلم تنجح عندما تأتى متجاوزة ومخفضة لفائض صراعه .

تنجح عندما تعمل على تدعيم مفهوم الاندماج والتضامن والوحدة .. ان الدعوة المحمدية أعطت لنا خير دليل على أن قدره الخلق والتطور والاشعاع فى الانسان المسلم تأتى من خلال تكامله مع ذاته ثم مع أسرته ثم مع الجماعات والطبقات .. لخلق الامة المتكاملة الموحدة ..

أمة الوسط .. لان الوسطية هى فلسفة الفكر والعقيدة الاسلامية ..

الدعوة المحمدية وحدت الاله ووحدت الشعائر ووحدت القبلة ووحدت الفئات البشرية (أوس وخزرج – المهاجرين والانصار) ثم وحدت جنوب الجزيرة مع شمالها دون استعانة بقيصر فى مواجهة كسرى .. ودون الاستعانة بكسرى لمواجهة قيصر ..!! انما اعتزاز وثقة بالعقيدة والارض والانسان فكان النصر المبين (١) .

جاء النصر المبين عندما استطاعت الدعوة المحمدية الخالدة أن تقدم للبشرية كلها نموذجا للامة (الوسطية) أى خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) من حوار مع المؤلف نشر فى جريدة الجمهورية منذ عامين .

فالاسلام هو عقيدة الوسطية بين كل العقائد منذ وجد البشر على كوكب الارض ·· لنتأمل اذن ·· ثم نستنير !!

قلت :

– اذن السلام الاجتماعى لا يتحقق الا على ضوء عقيدة الامة الاسلامية ؟؟

قال :

– نعم ·· بقدر تفهمنا لعقيدة (الوسطية) وعلى ضوء فهم فلسفة تاريخنا مع التعرف على المفاهيم الطبقية بشكل موضوعى كما ذكرتها ·· وبوعينا بما لدينا من قدرات وحقيقة ما ينتظرنا من تحديات يمكننا أن نمتصها بعقل واع وبفكر متدبر ··

قلت :

– تصبح اذن مغامرة ومجازفة أن نلقى فى الساحة الفكرية بشعارات مستوردة تنفيذا لمخطط صراع الالوان ·· ألا يعطل ذلك وعى الانسان العربى بالعقيدة وبالتاريخ ·· وبالدعوة المحمدية نفسها ·· ؟؟ ان هذا فى رأيى مؤامرة كبرى ·

– نعم ·· ان المغامرة والمضاربة على كلمات وشعارات دون ربط بينها وبين واقع المجتمع الذى تطبق فيه هو من باب المجازفة العاطفية بل والتحيز الفكرى الذى هو عاجز بالفعل عن فهم قضايا المجتمع ··

ثم أقول :

لا يمكن مهما كان الاجتهاد أن نستبعد تاريخنا أو تجاربنا التاريخية وخاصة وقد تأكد نجاحها فى الماضى وهى تجربة الامه « الوسطية » ·

لا مستقبل فى رأيى أمام أية محاولة أيدويولوجية غير مرتبطه بالتراث الفكرى والعقائدى والحضارى للاســـــلام ·· والوجدان التاريخي للأمة !!

وهنا انتهى الحوار حول قضية الصراع الطبقى مع الدكتور رشدى فكار ·· والذى نشرته فى جريدة الجمهورية قبل ترشيحه فى هذا العام لجائزة نوبل ·· واقرار هذا الترشيح رســـميا من الاكاديمية السويدية ومن لجنة نوبل للقراءة ·· ولم يكن أحد فى مصر يعلم ماذا ينتظر هذا المفكر المصرى المسلم من مستقبل عظيم فى الساحة الفكرية العالمية .. حتى اذا أعلن نبـأ هـذا الترشيح تسابقت الصحف المصرية لنشر أحاديث معه ·· عنـــدما جاء فى مارس الماضى من عام ١٩٧٧ ليواجه موقفـه كمفـــكر منتم لمصر وللشعب العربى ·· ويطلب منى أن أقدم له بقلمى كتابه هذا (فى الماركسية والدين) من خلال الحوار الذى أجريته معه خلال ثلاث سنوات متصلة ·· وأعترف أننى كنت فخورا ومعتزا بصداقة هذا العالم المصرى الشاب (هو فى الخامسة والاربعين الآن) وأمضى معه الآن فى حوار آخر ·

الحوار الثانى

وقد سافر رشدى فكار ثم عاد ليحدثنى عن نبأ ترشيحه لجائزة نوبل ولم أرغب فى نشر الخبر فى الصحف لانى أعلم أن الحركة الفكرية والادبية فى مصر قد حوصرت خلال العشرين سنة الاخيره بستار حديدى رهيب اخمد أنفاسها وجعل الخلق والابتكار جريمه سياســـية ٠٠ حتى شاء الله ســبحانه أن تهب مصر من ركودها واستسلامها للسوفييت وتحطم أغلال الاستعمار الروسى الغاشم فنبدأ فى تنظيف الدكان بعد رحيل السكان الملحدين ٠٠٠ والمسألة هى مســـالة وقت ومسالة وعى ومســـــالة موقف جاد من ذيول الاســتعمار السوفييتى فى مصر ٠٠ وهم الذين أصبحوا مفكرين وأدباء وصحفيين فى أجهزة الاعلام المصرية بقرار من موسكو وهم الذين قامت ثورة ١٥ مـــايو لابادة أثارهم لتمضى مســـيرة الامة الاسلامية العربية

وخلال الايام التى قضيتها مع الدكتور رشدى فكار وهو فى زيارته لمصر كنا نتحـــدث فى كل شىء ٠٠ كان يربطنى به ربـــاط عجيب ٠٠ حتى خيل الى أنه الانسان المسلم العربى الوحيد الذى أعرفه !!

انه على اى حال استطاع ان يخرجنى بعض الوقت من الكهف نعم ٠٠ فلا تزال العزلة مفروضة على كل المفكرين الشرفاء الذين لم يتعاونوا مع الاستعمار الســـوفييتى لمصر قبل ثورة ١٥ مايو ٠٠ ولا يزال هؤلاء الادباء الشرفاء يواجهون الضياع أمام الابواب التى أغلقها عملاء السوفييت فى أجهزة الاعلام المصرية !!

وأعترف أننى قضيت عشرين عاما فى كهف العزلة ‥ ولم أخرج من الكهف الا لالتقى بالدكتور رشدى فكار وأشعر معه بأن المستقبل يشرق بالامل ‥ فهو يجسد أمامى قدرة الانسان المسلم على اثبات ذاته ‥ وعلى أختراق السدود المفتعلة أمام اللقاء الانسانى على مستوى العالم وقدرة الانسان المسلم على العطاء اذا خرج من كهفه !! وهو الذى عاش الخمسة وعشرين سنة الاخيرة بعيدا عن مصر ‥ أى بعيدا عن السجن السوفييتى المظلم الذى لم تتحطم أبوابه الا على أيدى البطل القومى المؤمن محمد أنور السادات لذلك فان من الامانة ومن حسن الاسلام أن يعترف الانسان المسلم بالفضل لذويه وقد كان أنور السادات هو الزعيم الذى لولاه ماصدر عن أى دار نشر كتاب يعمق الفكر الاسلامى أو يبشر به ‥ ولما صدر فى مصر كتاب يناقش آثار الماركسية المدمرة على الاوطان الاسلامية وخطورة الفكر الماركسى على مستقبل العروبة والاسلام ‥

اذن نحن نعترف للرئيس أنور السادات بكل هذا ‥ ثم بقدرته على التصدى لاخطر استعمار أجنبى ظهر منذ فجر التاريخ وهو الاستعمار السوفييتى هذا الاستعمار الذى يتطلع بكل عنف لاقتلاع الانسان من جذوره الحضارية والتاريخية والدينية ويريد صياغته فى قالب مستورد ليصبح المواطن المسلم العربى مسخا مشوها لا شخصية له مميزة ولا أصالة ولا قدرة على العطاء أو الخلق أو الابتكار ‥

من أجل هذا كله ‥ ولانى عاصرت التجربة وأنا أعمل صحفيا وكاتبا أتصدى للاستعمار السوفييتى وهو فى قمة سطوته وأتحمل النتائج ‥ تشريدا من المهنة ‥ وابعادا عن أى عمل أرتزق منه ومنعا لكل انتاج فكرى وحصارا لعقلى ونشاطى فى كل أجهزة الاعلام ‥ حتى قامت ثورة ١٥ مايو ‥ لتحرر العقل والوجدان ‥ وتذيب الستار الحديدى بشمس الحرية والديموقراطية وتتجه بكل ايمان اسلامى عريق لتحطيم صنم

الاشتراكية الذى وضعوه فى معبد الامة بديلا للاله الواحد الاحد ..
خالق هذا الكون .. !!

أقول من أجل هذا كله .. رأيت أن وجود مفكر مصرى عالمى مؤمن بالقرآن ومن أبناء مصر المؤمنين بالتراث والانتماء .. رأيت أن أدير معه الحوار حول قضية الرفض المستورد بين الشباب اى رفض الشباب فى مصر للدين والتاريخ كمحصلة للاستعمار السوفييتى الغاشم لمصر قبل ثورة ١٥ مايو نعم أن الشباب فى الوطن العربى يحمل راية الرفض المستورد وللتراث العربى وللانتماء والاصالة ويراد له باصرار التبعية والعمالة كما أراد عملاء السوفييت من جواسيس فى ساحة الفكر والفن والادب والصحافة .. حيث أفرغوا من عقل الشباب كل قيم الامة حتى على مواجهة الغزوة اليهودية عام ١٩٦٧ .. !

عن قضية الرفض المستورد بين الشباب وحرية الاختيار طرحت امام الدكتور رشدى فكار عدة أسئلة .. أجاب عليها بروح الداعية الاسلامى الذى يؤمن بأن العلم هو هدف المؤمن .. وضالة المسلم .. وحتى لو كان العلم فى الصين .

أيدولوجية الشخصية الاسلامية

قلت للدكتور رشدى فكار :

– هل تحدثنى عن الايدولوجيات التى تهدد مسيرة شباب الامة ؟؟

ان شباب الامة كمحصلة للسنين التى حوصرت خلالها العقول بالرفض المستورد يعيش غائبا عن أيدولوجية الشخصية الاسلامية .. فما هو الحل ؟؟

قال رشدى فكار : (١)

ـ يجب علينا كمسلمين مؤمنين بالتاريخ أن نعمل بجهد مكثف على ابعاد شباب الامة العربية الاسلامية عن كل الايدولوجيات التى تتدافع نحوه من خارج حدود وطنه وهى أيدولوجيات ترفض الشخصية الاسلامية بل ترفض الدين أصلا ثم ترفض التاريخ والتراث .. وهدف هذه الايدولوجيات المستوردة تفريغ عقل الامه وخاصة شباب الامة من محتواه القومى !!

من واجب الدولة ورجال الفكر والعلم أى القيادة العلمية والفكرية فى مصر وفى كل وطن عربى اسلامى أى النخبة أن تتصدى لمؤامرة الرفض المستورد .. بين الشباب ..

ـ كيف ؟؟

قال :

ـ بطرح قضية الايدولوجية الاسلامية أى الايدولوجية التقدمية الاصيلة والمنطلقة من قيم الحضارة الاسلامية .. انه عمل شاق وجاد لكن لا مفر منه ..

قلت :

ـ سيقول أعداء الاسلام والعروبة أننا نرفض بذلك كل الافكار بل وكل ثقافة انسانية أى محصلة الحضارة الحديثة فى هذا القرن فى الفكر ..

قال :

---

(١) حديث نشر فى جريدة الجمهورية عام ١٩٧٦ .

ـ ان مبادىء وأفكار الحضارة الاوربية لا ننكرها نحن فقط فى الوطن العربى الآن ٠٠ بل ينكرها معنا ويرفضها معنا فلاسفه العصر الحديث أنفسهم مثل (ج٠ح روسو) وأنكرها معه أيضا (لوك) ولم يدافع عنها الا قلة من عمالقة الفكر الاوربى الحديث منهم (هوبز) ثم أيضا (ميكيا فيل) واتخذ هؤلاء المدافعون عن تلك الحضارة وأفكارها بيت شعر ٠٠٠ أي والله بيت شعر للشاعر انلاتينى (بلوتس) وتبنى (هوبز) هذا البيت للشاعر اللاتينى ليعبر به وسط المجتمع البشرى الاوربى عن العلاقات بين الافراد والجماعات وهو مبدأ يقول : (ان الانسان للانسان كالذئب للذئب !!)

ومعنى ذلك أن البشرية يجب عليها أن تتقبل الحياة فى مجتمع الذئاب وهو نفسه مجتمع الحضارة الحديثة ٠٠ وهى الحضارة التى ثبت أنها تواجه أزمة حقيقية ٠٠٠أى أنها فى طريق الانهيار !!

ـ وهم يصدرون لنا اذن هذه الافكار ٠٠

قال :

ـ نعم ٠٠ فقد ظهر فى ظل هذه الحضارة المادية الانسان المتصارع لاشباع غرائزه وهو انسان المجتمعات الاستهلاكية المعاصرة ٠٠انهم يصدرون لنا الأن فلسفة الذئاب ٠٠ لتسود وتسيطر على مجتمعاتنا الاسلامية والعربية ٠٠ !

قلت :

ـ اذن لابد من صاينة فكرية وعقائدية لشباب الامة الاسلامية العربية من تسلل فلسفة الذئاب ٠ ؟؟ وهى فلسفة مستوردة قبل الصراع الطبقى ؟؟

قال :

ـ من المعروف أن الدول الكبرى على اختلاف أيدولوجياتها

سواء منها دول الغرب أو دول الشرق تتجه بكل قواها الى عقول الشباب فى الدول النامية ·· دول العالم الثالث ·· أى الدول المتخلفة ·· والهدف من ذلك استنزاف طاقات الشباب وتفريغ عقول الشباب فى هذه الدول النامية من محتواها واصالتها حتى يمكن السيطرة على الشباب فى العالم الثالث ·· ويتم ذلك عندما يحتضن الشباب نفسه فى النهاية نظرية الرفض الذى صدروه له ·· الرفض لكل ما هو اصيل فى بلده ولكل ما هو عريق فى بلده ·· من دين ومن فكر وتاريخ ومن حضارة سابقة

ومن هنا ·· وبعد السيطرة على عقول الشباب وشحنها بالرفض المستورد يمكن للدول العظمى السيطرة بعد ذلك على الدول التى ينتمى اليها هؤلاء الشباب !!

لقد وقع الشباب فى الدول النامية فريسة لفلسفة الذئاب ·· للفكر الذى أطلقه بيت شعر لشاعر لاتينى !!!

قلت للدكتور فكار :

ـ اضرب لنا مثلا نفهم منه أبعاد مخطط الرفض الذى يصدرونه الينا ؟

قال :

ـ انه مخطط علمى مدروس ·· يمهد تماما للسيطرة والاستيلاء على عقول شباب العروبة والاسلام ·· ثم على الدول المنتمى اليها كل منهم ·· وأقول تفسيرا لذلك ·· أننا نلاحظ فى المجتمعات الصناعية الكبرى ولدى مئات من الشباب احساسهم بالملل ·· من الرفاهية لذلك فهم يرفضون هذه الرفاهية فى مجتمعاتهم المتقدمة والمتفوقة ثم يرغبون فى العودة الى الطبيعة مثل جماعات الهيبز وجماعات البرفوس واتجاهات اخرى ·· وهنا تبدأ المحاكاة العمياء بين شباب الوطن العربى ·· فشباب الوطن

العربى الاسلامى بدافع المحاكاة وباسم حرية الاختيار يتبنى أفكار الهيبز والبرفوس دون وعى او حتى دون فهم ودراسة للمجتمعات التى ينتمى اليها هؤلاء الهيبز والبرفوس (١)ومعنى ذلك أنشباب الوطن العربى يختار الملل والرفض •• وهو غير واع لاختلاف البيئة والمحتوى •• وينسى فى نفس الوقت حاجة مجتمعه الى قدرته والى طاقته ومشاركته فى عمران ارضه •• لينطلق مجتمعه الى الحضارة •• وهنا نطرح هذا السؤال :

كيف يشعر انسان بالملل وهو لم يجرب الرفاهية ولا عاش فى مجتمع الاشباع الحضارى ان كان لبعض فئات شباب العالم المتقدم أن تمل الرفاهية لانها تذوقتها حتى الشبع •• فكيف يمل انسان الرفاهية وهو لم يتذوقها بعد •• أن مثاله كمثل الجائع الذى يرفض الطعام .. اللهم الا اذا كان مريضا !!

- اذن ظاهرة الهيبز والبرفوس فى الوطن العربى والاسلامى هى ظاهرة مرضية ؟

- نعم •• وعلينا علاجها على الفور لانها تهدد كل شىء •• حتى عقل الامة !!

قلت لرشدى فكار :

- لكن ما هى أسباب الملل والرفض للرفاهية فى تلك المجتمعات الصناعية الكبرى ؟؟

قال :

- بالنسبة للمجتمعات المتقدمة فان ظاهرة الهيبز والبرفوس

---

(١) البرفوس •• جماعات فى أوربا ترفض كل شىء مثل الهيبز •• وتريد العزلة عن الصناعة والعيش بعيدا عن المدن وعن المجتمع البشرى الصناعى .

تعبر عن سخونة الدفع والحركة والحاجة الى التهوية ..

قلت :

ـ اشرح لنا ذلك ..

قال :

ـ خذ مثلا سيارة قطعت مسافة كبيرة من الطريق دون توقف ولو لبعض الوقت لكى تريح محركها من قوة الدفع .. هنا عليها أن تتوقف وتستريح قبل أن تنطلق .. والا احترق الموتور !؟

لكن بالنسبة لسيارة لم تنطلق بعد على الطريق ولم تهدر محركاتها بقوة الدفع فانها لا تحتاج لتهوية أو راحة للموتور .. بل ان توقفها عمدا معناه عدم الرغبة فى التحرك أساسا .

اننا قد نلتمس العذر لمجتمع صناعى مندفع ساخن أن تلجأ بعض فئات من شبابه الى التهوية .. ودون أن تؤثر فى حركته الشاملة كما هو الحال فى جماعات الهيبز والبرفوس .. ولكن كيف نلتمس العذر لفئات من شبابنا العربى المسلم فى مصر والبلاد العربية اذا فعلوا نفس الشيء أى أصبحوا نسخة من الهيبز والبرفوس .. ؟؟

ان قتلهم فى ذلك مثل الذى يريد أن يستريح من الراحة !!

وهنا سألت رشدى فكار :

ـ كيف اذن يواجه شبابنا هذا التيار المندفع الى أوطاننا من خارج الحدود .. تيار الرفض والملل . ؟؟

قال :

ـ ليس أمام شباب الوطن العربى الاسلامى غير طريق التطلع الحضارى أى الطموح العلمى .. ثم رفض الرفض والملل .. ان

ظواهر الرفض والملل هى ظواهر مسمومة ودخيلة سواء بحسن نية أو بسوء نية فى أغلب الاحيان حسب رأيى !!

قلت :

ـ هناك اذن مخطط لتصدير الملل الينا ؟؟

قال :

ـ نعم ·· من المؤكد أن المجتمعات الصناعية الكبرى تعمل دائما على التخلص من ظواهر الرفض والملل من شبابها وذلك لتشجيع جماعات الهيبز والبرفوس من شبابها الرافض الذى يمارس الملل بالفعل على الرحيل والترحال الى البلاد المتخلفة والنامية ·· بقصد الاحتكاك بشباب العالم الثالث ·· تحت شعار اللقاءات والمسامرات الصيفية ·· !!

انها طريقة من طرق متعددة لشل قدرة المجتمعات الغنية والناميه ·· لشل قدرتها على الخلق والنهوض لان الشباب هو عدة هذه المجتمعات النامية ·· وكما يقول المثل :

ـ رمتنى بدائها وانسلت ··

وسألت رشدى فكار :

ـ هل تصبح الرفاهية هدفا فى حد ذاتها أمام شبابنا ؟؟

قال :

ـ ان الرفاهية حين تصبح هدفا فى حد ذاتها أمام شبابنا فسوف يظل المتطلع للرفاهية أو الباحث عنها فى حاجة دائمة الى مزيد من الرفاهية شأنه شأن المتهالك الذى لا يرتوى أبدا ··كلما ترفه الانسان أو جعل الرفاهية غايته وليس تحقيق المثل العليا والقيم يصبح هذا الانسان عبدا مسخرا للرفاهية ومزيد من

الرفاهية كلما حصل على بعضها ·· وهكذا ·· وما نحتاجه هو تحقيق مثل أسمى للرفاهية ·· فلا نصبح عبيدا للماديات ·· هنا لا نفيق أو نستيقظ الا فى لحظة الاحتضار ·· والاستعداد لدخول القبر حيث مثوى الانسان الاخير ·· وهو مقر لا يتطلب الرفاهية وانما يتطلب ما حققه الانسان من عمل صالح يبقى أبد الدهر من بعده ·· على الانسان اذن أن يكون (وسطيا) كما نادى الاسلام ·· حين جعل الوسطية هى الحل الافضل للحياة على كوكب الارض ·· وسطية فى الانفاق ووسطية فى السير وفى الكلمات وما علينا الا أن نراجع الآيات الكريمة التى فى سورة الاسراء والسور الاخرى التى تحدثنا عن الوسطية وتدعونا اليها كأمة نادى الاسلام بقيامها ·· وما أروع ما يحتويه قوله تعالى : (أمة وسطا) من معنى أصيل ··

قلت لرشدى فكار :

ـ وما معنى وسطية الرفاهية ·· اشرح لى ذلك ؟؟

قال :

ـ وسطية الرفاهية تعطى لنا حقيقة التذوق أى صدق الشعور بها ·· ان من يغالى حتى فى رفاهية طعامه قد تحرمه انفعالاته المتفجره من الشعور بالتذوق . . ثم تدفعه هذه الانفعالات من المغالاة فى الرفاهية الى الملل والسأم ثم الحسرة وهى حسرة أشد وأقسى من حسرة المحروم من الطعام ·· ذلك لان هذا الذى يريد الرفاهية يبالغ فى اعداد طعامه على أعلى مستوى سوف يجد نفسه ذات مرة يشعر بالملل فيسأم الطعام ويعافه وهو أمامه ولا يجد شهية له ··

أما الجائع أو الذى يرغب فى الطعام فما زالت لديه لذة الشوق والامل فى الحصول عليه . . أمام شبابنا الوسطية الواعية وسيلة للحياة ·· هذا هو اختياره الصحيح أمام موجات الرفض

المستورد ٠٠ وبعد استهلاك كل ما يصدر اليه من ملل وسأم ورفض ومذاهب براقة ٠٠

وسألت الدكتور فكار :

ــ ان الشباب فى مصر وفى الوطن العربى بصفة عامة مشرقه ومغربه كثيرا ما يتطلع الى التيارات الفكرية الوافدة اليه من دول متقدمة كبرى حديثة ويتخذ بعض شبابنا من قادة هذه الدول الكبرى وبالتحديد من قادة الفكر فى هذه الدول ومن أصحاب الآراء فيها مثله العليا ٠٠

قدوة له ٠٠

على طريق الفكر والثقافة ٠٠

وعلى طريق الانتماء ٠٠ فهو ينتمى للآخرين ٠٠ وليس لابويه أو لعقيدة أجداده ٠٠ ولا يهم بعد ذلك التراب ٠٠ أو الوطن ٠٠ انه يصبح ابنا غير شرعى وسط اخوة له فى الدين والتراب والتاريخ ٠٠ هو من الخارجين العصاة ٠٠ هو قد تحول الى مسخ وسط البشر ٠٠ انه يرفض الذات ٠٠ ذاته ٠٠ وبذلك يفقد الشاب شخصيته وفى النهاية يواجه العزلة ٠٠ ثم الضياع ٠٠ كيف ننتشل شبابنا يا دكتور فكار من هذا المستنقع ٠٠ ؟؟

قال :

ــ أقول لك ٠٠ وأقول لكل مسئول فى الوطن العربى الاسلامى ٠٠ وبكل موضوعية أن من الخطأ أن نترك شبابنا يختار أنماطه الفكرية من بين نماذج وأنماط الدول الكبرى الحديثة فى الشرق أو فى الغرب ان من المفروض أن يقع اختيار الشباب على أنماط الفكر من اشعاع أرضيته ومن تراث أمته دون أن يتقوقع أو يتخبط ان الايدولوجيات فى الدول الكبرى شرقية أو غربية تتجه الآن الى مصالحها ٠٠ بمعنى أنها لم تعد أيدولوجيات لها هدف

انسانى بقدر ما هى مجرد تبرير لمصلحة أو نفع ‥ اننا نرى الآن تقلب هذه الايدولوجيات وتلونها فى هذه الدول نفسها ليس فقط خلال العام الواحد بل وخلال اليوم الواحد أيضا ‥ تمشيا مع المصالح ‥ لا مع المبادىء والنظريات .

قلت للدكتور فكار :

ـ لكن البعض يا دكتور يحاول أن يعطى لهذه الايدولوجيات مسببات باسم الاستراتيجية طويلة الامد والتكتيك الفورى ‥ وذلك للوصول الى أهداف محددة ‥ وبسرعة ؟!

قال :

ـ ان هذه المسببات تمثل الغش والنفاق والكذب أو فن الكذب كما وصف برتراند راسل هذه الايدولوجيات بقوله عنها .

ـ اللا خلقية العالمية ‥ مثل اسعاد الانسان عن طريق تفجير القنبلة الهيدروجينية ‥ ثم ابتكار أحدث أسلحة الدمار

وفى نهاية الحوار قلت له :

ـ يا دكتور ‥ ما رأيك فى أزمة شباب مصر ‥ الراهنة ؟؟

وهى أزمة ظهرت بصورة حادة بعد تصدير الرفض الينا ‥

قال :

ـ أريد أن أقول لك أن هذه الازمة ليست أزمة عضوية ‥ انها أزمة طارئة ‥ ان جوهر شبابنا المسلم العربى جوهر أصيل وما زال أصيلا ‥ لكن ما يعانيه شبابنا فى مصر والوطن العربى أيضا انما هو نتيجة مضاربات ومراهنات على مستقبله ‥

ـ كيف ‥ اشرح لنا ذلك ؟؟

قال :

ـ باسم التوعية السياسية والدعوة الاجتماعية والاقتصادية والتعبئة المستمرة من خلال الشعارات الجوفاء ٠٠ كل هذا حجب عن الشباب فى مصر والوطن العربى الرؤيا الصحيحة فى النهايه فانتشر الضباب على أرضه ٠٠ ويصعب عليـــه أن يكتشف ذاته وجوهره فهو محاصر بالمضاربات والمقامرات والاشتراكيات من حوله فى كل وقت ٠٠ اننى أعتقد شخصيا أن الشـــباب فى مصر وبلاد الوطن العربى كله لا يحتاج الى من يضيف الى جوهره عناصر دخيلة عليه ٠٠ فلدى شباب مصر الاسلامية العربية من العطاء سواء على تاريخه وتراثه أو على مستوى قيم وعقائد أسرته أو على مســتوى ثراء الارض ما يجعله فى غير حاجة الى من يقود هذا الجوهر ٠٠ بقدر حاجته الى من يكشف له دائما عن حقيقة هــذا الجوهر ومن يبدد من أمامه الضباب ليرى ذاته ٠٠ هنا فقط يمكن الحفاظ على جوهر الانسان ٠٠ وليس اذابة هذا الجوهر كما يســـتهدف المخططون الذين يصدرون الينا الرفض ٠٠ والملل ٠٠ والنظريات والمبادىء !!

قلت لرشـــدى فكار وأنا أساله بعد أن أوفى بحق جوانب القضية بشمول فكره ٠

ـ معنى ما تقول يادكتور هو أن شباب مصر والوطن العربى فى حاجة الى القدوة الحسنة للخروج من أزمته ؟؟

قال :

ـ القدوة تأتى بعد أن نحدد للشباب فى مصر ما هو مطلوب منه ٠٠

لأى شىء نؤهله ؟؟ (١)

هل نؤهله ليكون فى خدمة أرضه ومدافعا باسلا عن أصالتها وعن تراثها ٠

---

(١) يختلف الدكتور رشـــدى فكار فى ذلك مع الذين ينـادون بالقـــدوة كوسيلة للخلاص من الفساد والتسيب فى المجتمع ٠

بمعنى هل نبرر ذاته ؟؟

أم نهدر هذه الذات ؟؟

أن من يهدر ذاته عليه الا ينتظر من الاخرين أن يحافظوا له عليها ..

قضية اثبات الذات لها أولوية مطلقة فى رايى ولا يمكن اثبات الذات عن طريق تفريغها من محتواها ثم الباسهامحتوى الاخرين . انها حينئذ تصبح ذاتا ممسوخة فلاهى استطاعت أن تحتفظ بأصالتها .. ولا هى استطاعت أن تكتسب أصالة الاخرين .. فهى هامشية على أى حال ...

المهم فى هذا كلة هو الاطار الزمنى فهناك أزمنة متفق عليها — علميا — لمسيرة المجتمع ولقياس تقدمه وهى بالترتيب :

أولا : الزمن المتوعك ..

ثانيا : الزمن المتواطىء ..

ثالثا : الزمن المتراجع عن زمانه ..

رابعا : الزمن السابق لزمانه ..

والزمن المتوعك أو الزمن المتواطىء المسئول عنه رجال الفكر .. وسلبية رجال الفكر وجمودهم هما السبب فى وجود هذا التوعك وهذا التواطىء ..

ان النخبة أو أهل الفكر والعلم فى البلد التى احتواها الزمن المتوعك هم وحدهم الذين أتاحوا لهذا الزمن هذه الفرصة .. انها مسئوليتهم ..

لو كانوا فى يقظة لما جاء الزمن المتوعك .. الزمن المريض .. الزمن الذى ينتهك قوى الامة .. فهو زمن متواطى ...

أما الزمن المتراجع عن زمانه .. فهنا يبرز دور الجماهير

بسلبيتها وعدم قدرتها على مواجهة التخلف ·· انها المسئولة عن وجود الزمن المتراجع عن زمانه ··

أما الزمن السابق لزمانه فهو الزمن الذى يتمتع فيه أبنـاء الامة بحزم وحكمة القيادة ورزانتها ثم لوعيها بتناقضات عصرها وتقبل شباب الامة بصفة خاصة لحركة هذه القيـادة وتجاوبهم معها ··

اذن علينا فى مصر وفى البلاد العربية والاسلامية أن نتجاوز الزمن المتوعك وازمن المتواطىء أما بالنسـبة للزمن المتراجع عن زمانه فلا أعتقد وجوده فى وطننا العربى الاسلامى ..

ومن ثم يصبح من واجبنا تحقيق الزمن السـابق لزماننا ولدينا الامكانيات البشرية والطبيعية لتحقيق وجود هذا الزمن !
انتهى هذا الجزء من الحوار ··

(على الدالى)

الحوار الثالث

قلت للدكتور رشدى فكار :

ـ من القضايا الاساسية المطروحة ليست على مستوى مصر فقط بل على مستوى الوطن العربى والاسلامى بصفة عامة قضيه العلم والدين ·· أو العلاقة بين العلم والدين أو موقف العلم من الدين وكذا موقف الدين من العلم وهل الدين فى خدمة العلم آم العكس ؟؟

ـ قال رشدى فكار :

القضية هى قضية الفكر الاسلامى فى النهاية أو الفلسفة الاسلامية وحين أطرحها اليوم فليس من مبدأ المساواة بين الدين والعلم بل من مبدأ التعريف بالقضية فالدين دين ·· والعلم علم ·

الدين جوهر والعلم وسيلة ·· ولم يكن القرآن كتابا فى الكيمياء أو فى الهندسة القرآن الكريم أشمل وأسمى ليس فقط من العلوم بل من كل الفلسفات الاساسية فهو متجاوز بعطائه وأصالته لقدرات العلم فى كل الازمنة ومتجاوز لعطاء الفلسفات والاديان التى سبقته أيضا ·· وفى أوربا بدأت قضية علاقة الدين بالعلم بعد نضوج الفلسفات الحديثة وقد كانت مواجهة ضارية بين الفلسفة الاوربية الحديثة وبين الدين المسيحى والعلم .. فالتقدم العلمى المرتبط باحتياجات المجتمع الاوربى بدأ يحاصر الفكر التأملى والمجرد ولا يعترف الا بما هو نشط وله عطاء بالنسبه للحياة اليومية للانسان أو هكذا تصور رواد العلم فى هذا العصر

•• هذا بالنسبة للمجتمع الاوربى •• أما بالنسبة لنا فالقضيه تختلف فى المضمون وفى الشكل •• ذلك أن المنظور الفلسفى الاسلامى كان دائما يضع فى حسابه قضايا الانسان انطلاقا من النص القرآنى •• ذلك أن الاسلام ربط روحانية الانسان بماديته فى الحياة الدنيا •• ربط دنياه بآخرته •• وربط حقوق الرب بحقوق العبد ومن هنا فمن الخطأ الفادح مناقشة قضية العلم والدين بمنطق أوربى •• كلا •• هنا لن نصل الى حسم القضية أبدا (١)

قلت لرشدى فكار :

ــ القضية اذن فى مصر وفى الوطن العربى مختلفة ومع ذلك فان القوالب الجاهزة للفكر الذى ينتمى اليه بعض المفكرين فى مصر والوطن العربى يضع القضية فى سجن الفكر المستورد •• وهنا الخطورة •• هل تحدثنى عن امكانيات الفكر الاسلامى فى مواجهة العلم ••؟

قال :

ــ ان الطابع النشط للدين الاسلامى وأيضا قدرة الفلسفة الاسلامية على الحركة وعدم جمودها وركودها فى قوالب جاهزه يعطى القضية هنا طابعا مختلفا تماما •• (٢)

ان الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين فى التاريخ الاسلامى استطاعوا دائما الخلق والابتكار مع الالتزام بالنص القرآنى وعطاء السنة •• ومن ثم فطبيعة التفتح للفكر الاسلامى خلال مسيرته التاريخية يجعلنا فى هذا العصر لا يمكن أن نعزل قضية العلم

---

(١) معنى كلام د• رشدى فكار أن الماركسيين أو المنتمين للثقافة الاوربية فى مصر يناقشون دائما قضية الدين من منطلق مفاهيم الماركسية أو الفكر الاوربى •

(٢) من حوار معه نشر فى جريدة الجمهورية فى ٢٣ أكتوبر عام ١٩٧٦ ، وقد حذف من الحوار جزء كبير لضيق المساحة وانشر هنا الحوار كاملا •

والدين فى شكلها الراهن عن ماضيها ٠٠ أى عن التراث !

قلت له :

ـ لنبدأ اذن فى الحوار حول القضية ٠٠ فأنت تعلم أو لعلك سمعت أن فى مصر الآن من يحاول أن يجتهد علميا حول عطاء القرآن ٠٠ لكن هناك من يرى فى ذلك خروجا على تقاليد الفقهاء وخروجا على التفسيرات المتعارف عليها وهناك فى نفس الوقت من يرفض الربط بين القرآن والعلم وهناك من يفسر القرآن بالعلم ٠٠

وهناك من يقرب فكرة العلم من خلال القرآن ٠٠

لكن أخطر الناس هم هؤلاء ـ فى رأيى ـ يا دكتور من يحاول توظيف القرآن لخدمة الماركسية ٠٠ وهؤلاء لن نناقش قضيتهم لان الرد عليهم وارد فى أكثر من مكان على صفحات هذا الكتاب ٠٠

قال الدكتور فكار :

ـ الاجتهاد مبدأ أساسى فى الاسلام ٠٠ لا احتكار فى تفسير القرآن لاحد وانما لكل مسلم الحق أن يجتهد ما دام هذا الاجتهاد لا يجعله يخرج على نصوص القرآن فالهدف من وراء ذلك نبيل وهو المزيد من دعم العقيدة لدى الشباب المتطلع الى العلم وهو اتجاه فريد وله أجره عند الله ٠٠

ان محاولة الانتفاع بعطاء العلوم المعاصرة لاثبات مبدأ الصلاحية للدين الاسلامى وتقريبه الى العقول المتطلعة الى العلوم موقف شريف لمفكر شريف ٠٠ ذلك أن لغة العلم أصبحت هى اللغة الاكثر جاذبية لدى الفئات المثقفة والمتعطشة الى البرهان العقلى ٠٠
قلت له :

ـ اذن فهو اتجاه يخدم الدين ويدعم العقيدة لدى فئات مثقفة وهى النخبة كما تسميها ·· لكن ألا ترى أن هذا الانجاه يصطدم بتطور العلوم ؟؟

قال :

ـ نعم ·· ان ما يؤخذ على هذا الاتجاه بالفعل أن طبيعة العلم فى تطور فما هو صحيح علميا الآن يمكن أن يأتى زمان تصبح فيه هذه النظريات العلمية التجريبية غير صالحة وربما غير صحيحة أيضا ·· فالقضية هنا تنتهى صلاحيتها بانتهاء زمانها ومن هنا بدلا من أن تكون حجة للقرآن تصبح حجة عليه ·· ثم يؤخذ أيضا على هذا الاتجاه الذى يفسر القرآن بالعلم أنه لا يضع فى حسابه صرامة الاجتهاد الفقهى الاسلامى والتعمق فى قدرة البيان والمعانى القرآنية التى من الصعب أن تؤخذ كقضايا حسابية جاهزة وهنا سيواجه المنهج العلمى مشكلة صعبة للغاية قد تعطله أو تجمده ·· فمثلا قد يواجه أصحاب هذا الاتجاه بأن الدراسات اللغوية فى النهاية ستكون هى الحكم الاسمى فى قضايا تفسير القرآن وليس الحكم هو معمل الكيمياء أو عيادة الطبيب ·· أو تجربة الآلات !!

ويؤخذ أيضا على هذا الاتجاه الذى يفسر القرآن بالعلم أن القرآن بمضمونه وصياغته ومنطلقه وهدفه يتجاوز التجربة العلمية المؤقتة بمعنى أنه دستور للانسان وليس أصول مبادىء تطبق معمليا وتحلل منهجيا بتفريغ مضمون القرآن من وجدان العقيدة وتجميده فى معمل كيميائى يفقده الهدف والمنطلق !

قلت له :

ـ وهناك اتجاه آخر فى مصر هو نقيض الاتجاه الاول فى تفسير القرآن الكريم وهو اتجاه يرى عدم المضاربة أو المجازفة فى تفسيرات للقرآن والسنة فقد نخرج عما قد تعارف عليه فقهاء الاسلام وعما تبناه هؤلاء فى مذاهبهم وبالتالى فالخروج على ذلك يعتبر بدعة أى ضلالة ·· وأصحاب هذا الاتجاه يحرصون على

مما سبق أن درسوه وتعلموه من كتب الفقه والتفسير واللغة ..
فهل هؤلاء ضد التجديد أو ما يسمى بالتجديد فى الفكر الاسلامى
.. ما هو رأيك أنت ؟؟

قال :

- فى الواقع أن هذا الاتجـــاه يتميز بصرامة الحرص على قداسة النص القرآنى وعدم اخضاعه لمضاربات فكرية قد تبـــدأ بحسن نية ورغبة مخلصة فى دعم العقيدة الاسلامية .. ولكن قد تفتح الباب فى نفس الوقت للمضللين والمبتدعين ليشوهوا ليس فقط تفسير القرآن وصورته وانمـا لتـــدمير جوهره فى وجدان الناس .. كذلك يحسب لهذا الاتجاه أنه أكثر التزاما بالتقاليد التى روعيت منذ العصر الاول للاسلام بالنسبة لتفســـير القرآن والتعرف على السنة من خلال اعجازها البيانى وقدرتها على الاقناع والهداية باعتبار أن الدين أساسا ينطلق من التسليم والايمان وما التبرير والتعليل الا موعظة حسنة ومجادلة بالتى هى أحسن كما يقول القرآن ..

« انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »

اذن البرهنة ليست غاية فى حد ذاتها وانما وسيلة من بين وسائل الاقناع الاخرى .

قلت لرشدى فكار :

- لقد ذكرت مزايا هذا الاتجاه .. فما هى الاخطاء التى تحسب عليه ؟؟

قال :

- أول خطأ لاصحاب هذا الاتجاه هو أن الالتزام الصــــارم بالنص والوقوف عنده سيجعل الاجتهاد فى الاسلام خاصا بنخبة

من الفقهاء تحيط بهم مجموعة أخرى من الفقهاء ٠٠ منها واليها٠٠
أما الشباب وخاصة أبناء هذا الجيل من المثقفين فهم دائما يتطلعون الى البرهان العقلي والحجة العلمية بحكم ثقافتهم فهؤلاء اذن وهم عدة المستقبل سيكونون فى عزلة عن الفقهاء وتلامذة الفقهاء أى فى عزلة عن الدين ٠٠ !!

ومن ثم فهذا الاتجاه فى التفسير والذى هو ضد التفسير العلمى أو الاجتهاد بصفة عامة سوف يساعد على حيرة الشباب فى مصر وفى البلاد الاسلامية وهو شباب طلب منه فى مدارسه ومعاهده وجامعاته تبنى المنهج العلمي أو العقلى ٠٠ (العقلانية) ثم يطلب منه في نفس الوقت أن يعطى لهذه المسيرة العقلانية أجازة ليبرر ايمانه بالعقيدة !!؟

قلت له ٠٠

ما هو رأيك أنت ٠٠ كمفكر مسلم لا ترتبط بمنهج من هذه المناهج فى تفسير القرآن ٠٠ ؟؟

قال :

ــ أنا شخصيا أميل كمخرج من كل هذا الى مبدأ التوافق لا المطابقة بين العلم والدين على أساس أنه ــ من حيث المبدأ ــ الدين أشمل وأسمى وأعم ليس فقط من العلوم بل من كل الفلسفات وحتى الاديان السابقة للاسلام ٠٠ وأنا مع الذين يريدون طمأنة القلوب والحد من حيرتها بالبرهنة العلمية حتى لا يتأزم العقل ٠٠

ونقول للعقل : ان استطعت يا أيها العقل بقدرة منهجك العلمى أن تكتشف أخطاء فيما جاء به الدين الاسلامى بعد مسيرة أربعة عشر قرنا فقل لنا ما هى ؟؟

ان العلم لم يستطع أن يكتشف لنا أية أخطاء أو حتى

ما يتنافى مع العقل بل العكس ٠٠ اكتشف لنا العلم مايدعم العقيدة وما يجعلنا نقول باعتزاز :

صدقت أيها النبى الأمى ٠٠ فها نحن اليوم ننحنى كعلماء أجلالا وايمانا برسالتك لانها رسالة الحق ٠٠ ليس فقط انطلاقا من الوجدان بل بتأييد من العقل ومن المنهج العلمى .

قلت للدكتور رشدى فكار :

ـ نطرح الان قضية الاسلام وواقع العصر (١) لنصل الى الاسلام والماركسية التى طرحت فى هذا الكتاب ٠٠ بالنسبة للدين والعلم فى البداية أو بعبارة أدق بالنسبة للقرآن والعطاء العلمى فكيف تتصور القضية ٠٠ ؟؟

قال :

الدين لايمكن انكار دوره فى نشأة الفلسفة أى أنه لعب دورا فى نشأة الفلسفة وكمجرد مثال نستشهد به « رأى » أو نظرية أحد رجالات الفكر الوضعى الاجتماعى فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وهو « ايميل دور كايم » وهو أحد رواد علم الاجتماع فى العصر الحديث وصاحب النظرية المشهورة التى تحمل عنوان (الاشكال المبدأية للحياة الدينية) فقد أكد أن الفلسفة تنطلق من الدين ولولا الدين ما كانت الفلسفة ولا كان العلم !! جاء هذا فى مقدمة نظريته هذه ٠٠ ومعنى هذا أن هناك اجماعا من المفكرين سواء منهم من يسلم بالدين كعقيدة أو يقيمه كمجرد ظاهرة عضوية ٠٠

---

(١) حوار معه اجريته بعد اقرار ترشيحه لجائزة نوبل فى الآداب وقبل سفره فى ابريل سنة ١٩٧٧ .

ان المفاهيم والمناهج العلمية ارتبطت بالفلسفة فى العصر الحديث ·· وحينما نحاول أن نحدد اطار هذا الموضوع لمناقشه علاقة العلم بالدين ونجسد هذا فى علاقة تفسير القرآن وعطاء العلم المعاصر نرى أن الاتجاهات تعددت بين من يقول بنظرية البديل اى أما العلم بديل للدين (المدرسة المادية) بتياراتها المختلفة أو الدين بديل للعلم باعتبار أن الدين متجاوز للعلوم ونرى هذا بوضوح لدى بعض المجتهدين الملتزمين من رجال الدين ·· وهؤلاء يرون أن العلم مجرد وسيلة لا يمكن بأى حال أن تعطى لها أرضية على حساب الدين ·· فالدين فى كل الازمنة والامكنة هو ليس فقط بديلا للعلم بل هو بديل لكل شيء وفيه كل شيء يحتاجه الانسان فى حياته الدنيوية وهناك من يقول بنظرية التفنيد لا البديل .. أى أن العلم يكون من أدواره الاساسية تفنيد الدين كأساطير وخرافات واستلاب (هكذا يزعمون) كما أن هناك من يعارض هذا الرأى فيقول أن دور الدين هو تفنيد العلم باعتبار أن العلم مرتبط بقضايا اشباعيه فعلم هذا العصر مثلا كما يقولون يتجه الى تنمية مجتمعات الاستهلاك المادى فيفندوه ليتجهوا بفكر الانسان الى اطار روحانى مجرد ·· نجد هذه الاتجاهات حاليا مجسدة وملموسة فى المجتمعات المعاصرة باستثناء المجتمعات التى تبنت الماركسية كقاسم مشترك فى توجيه وتعليل المجتمع وعلاجه ·· وهى أساسا قضية الدين بالنسبة لها لم تطرح على مستوى هذا الحيز وانما خضعت لتوجيه معين يتمشى مع ما تمليه ضرورات المجتمع وتوجيهات النظرية الماركسية ··

أما المجتمعات الاخرى بما فيها مجتمعنا العربى تعيش هذه الاتجاهات الاربعة ·· بديل ·· وتفنيد ·· اذا أردنا أن نأخذ أمثلة كما تسألنى فهناك من يقولون بالعلم كبديل للدين وهؤلاء من يؤمنون أن الدين ظاهرة اجتماعية أملتها ضرورات معينة من متطلبات الانسان ومن ثم آن الاوان ليتصدر العلم كبديل للدين ·· (هكذا وبكل بساطة) ·

أما من يقولون بالبديل الدينى للعلم فهم من يرون فى

مجتمعات اليوم مجتمعات زائفة ٠٠ زيفتها محصلة الفكر العلمى الذى لم يعد يعمل لصالح روحانية الانسان وانما لاشباع استهلاكه وتنمية غرائزه وجشعه وأطماعه وأنه لا ملجأ الا الدين ٠٠والعودة الى الدين ٠٠ كبديل لكل ابتدائل ٠٠ أى التى خلقها الانســـان بنفسه فى غيبة الاله ٠٠ ودون الاعتراف بالله فمشكلته هى أن يعود الى الدين ٠

وخير من يمثل حقيقة هذا الاتجاه هم أصــحاب النزعات الصوفية الصافية والزهاد والداعين الى الزهد والبعد عن الدنيا وغرورها وملذاتها ٠٠

وفى مجتمعنا العربى الاسلامى يوجد من يقول صراحة الآن بتفنيد الدين باســـم العلم وهم دعاة المدارس الفكرية الماديه (المستوردة) والتى ترى أن الحقيقة تنطلق من الانسان وتعود اليه ٠٠ فهو أى الانسان خالق الحقيقة وهو حكمها انطلاقا من وجوده الاجتماعى ووضعه الاقتصادى ٠٠ لكن فى مجتمعنا العربى الاسلامى أيضا يوجد من يفندون العلم باسم الدين فيؤكدون قصور العلم وافلاسه رغم تقدمه الهائل ورغم اعتماده على المعارف التكنولوجية التى حققت الكثير ومثال لهؤلاء ٠٠ بعض المصلحين الاسلاميين ٠٠ الذين يرون أن الدين قد أعطى للانسان ما يضمن له السعادة الحقة وعلى الانسان أن لا يخدع ببريق الاختراعات والاكتشافات العلمية بل عليه أن يكتشف وقبل كل شىء ذاته ثم يدعم علاقتـــه بخالقه وحينما نستأنس بتفسير وشرح القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة نلاحظ أن من يدافعون عن الدين بتفنيدهم لحضارة العصر وافلاسها فى اسعاد الانسان ومنهم من يتبنى لتحقيق ذلك رفع القرآن والاحاديث النبوية عن مستوى المضاربات والمقامرات باسم العلم الذى يشك فى براءة أهدافه (علم اليوم) وصــحة عطائه ويرون أن القرآن والاحاديث قبل كل شىء مبادىء أسمى من اطار التجريب العلمى أى من اطار العلم ٠٠ باعجازها فى بيانهـا وفى

علاجها لقضايا الانسان الكبرى ومنهم من يتجه الى طريقة عمليه فيحاول أن يكتشف نظريات علمية فى القــــرآن وفى الاحاديث النبوية الشريفة ..

أما من يبحثون تحت شعار البديل على حساب الدين فهـم يتحركون بعقول عفوية وبمجازفات غير سليمة .. انهـم ينظرون الى القرآن (١) كمجرد وثائق تعكس واقع عصرها وأوضاع ذلك العصر الاجتماعية والاقتصادية والقبلية لا أكثر .. وبالنسبة الى هؤلاء أقول أنه من الخطأ أن ننظر الى أصحاب هذا الاتجاه نظـرة جادة .. لانهم لا يقولون شيئا له قيمة أو يستحق المناقشة .. وباسم الرزانة العلمية أقول أن مناقشة مثل هذا الرأى تعد عدوانا على قيمة العلم نفسه .. فرغم محاولة المســـتشرق (لا منص) وأيضا زميله حاليا (رودنسن) المفكر الفرنسى المعروف وأيضـــا (مارجوليوس) والقائمة طويلة .. أقول رغم محـــاولات هؤلاء جميعا اليائسة ورغم التخطيط المستمر لهدم الدين بالتفنيد العلمى لم يقدموا الينا شيئا له قيمة علمية أو حتى يمكن النظر اليه بعين الاعتبار فكل آراء هؤلاء مجرد انطباعات من هنا وهناك تدمر نفسها بنفسها نظرا لعدم صرامة التوثيق التاريخى فيها وعنصر المشاهدة ولجوء هؤلاء الى افتراضات هى مجرد انطباعات ذاتية ومحـــاولة صبغ التاريخ بلونها ..

ان المراهنة على التاريخ الاســــلامى العربى كما قدمه لنا المؤرخون هي مراهنة على تاريخ هؤلاء المؤرخين وتذوقاتهم وأهوائهم وانفعالاتهم وانتماءاتهم أكثر منه تاريخ التاريخ . !!

هو تاريخ المؤرخين وليس تاريخ التـــاريخ فما زال ينقص

---

(١) يقصد دعاة الماركسية فى مصر والوطن العربى .

التاريخ الاسلامى خضوعه لعلمية التاريخ وفلسفة التاريخ والا كما قلنا لا يمكن أن تؤخذ هذه الاتجاهات الا كمجازفات عفوية وعشوائية ..

وهنا قلت للدكتور رشدى فكار :

ـ نعود الى ما تتبناه أنت شخصيا من آراء حول هذه الاتجاهات ..

قال :

ـ اننا مع اعتزازنا وتقديرنا للاتجاهين القائلين بالبديل الدينى للعلم التفنيد الدينى للعلم أو التبرير العلمى للدين نميل الى اتجاه آخر وهو عدم البحث تحت شعار البديل .. أو التفنيد.

وانما ننطلق من أن الدين وخاصة ما يعنينا نحن المسلمين أى الاسلام .. ممثلا فى القرآن الكريم والسنة النبوية ..هو أسمى وأشمل من العلم فى كل عصوره وأمكنته .. باعتبار ان الدين يتجاوز الفلسفة أيا كانت ان الدين هوالفلسفة الاساسية للانسان فى دنياه وفى آخرته .. فالدين لا يشتمل فقط على فلسفة للارض أى للانسان فى دنياه وانما على فلسفة للسماء أو فلسفه السماء ان صح التعبير .. ومهما تفلسف الانسان فى أرضه فلا يمكن أن يرتقى الى حوار السماء !!!

وحوار السماء تجسد فى الوحى للانبياء والرسل ..

اذن ..

الدين بتجاوزه لكل الفلسفات الاساسية للارض متجاوز أيضا لما تجزأ منها ونعنى بذلك العلم ..

فا لعلم من ألخطأ أن يطرح على قدم المساواة مع الدين حيث أن العلم فى مسيرته وبصفة خاصة فى العصر الحديث التزم با طار

محدد سواء كان التجريب أو الملاحظة بالنسبة للظواهر الطبيعية أو الظواهر الانسانية ٠٠

لكن من الخطأ في نفس الوقت اغفال عطاء العلم الايجابي وتقدمه وما أهلت له المعرفة التكنولوجية من قدرات هائلةأبرزتها لنا الصناعة بمختلف أنشطتها وابتكاراتها ٠٠ وعلى هذا الاساس ٠٠ لا يمكن بحال تجاهل عطـــاء العلم ودوره ٠٠ كمـــا لا يمكن بحال أن نتجاهل عطاء الدين وأصالته وضرورته للانسان فكلاهما لازم له وكما قال سان سيمون الذى أعتز برأيه فى هذه القضية كممثل للاتجاه العلمى الى جانب اعتزازى بمفاهيم الاسلام من خلال القرآن بالنسبة لنفس القضية ٠٠ وذلك أن العلم ليس دوره أن يحل محل الدين أو يفنده كما أن الدين ليس دوره أن يوقف تقدم العلم أو يشله وانما يتوافقان ويتعاملان لاسعاد الانسان دنيويا وخلق الرضا النفسى والروحى ليتقبل الانسان مصيره بنفس مطمئنة ٠٠٠ ويمكن للعالم أو الباحث أن يجتهد باســم العلم كما يمكن لرجل الدين أن يجتهد باسم الدين ليلتقيا فى الطريق لقاء التكامل دون نفاق أو تصنع أو مشكلة ٠٠ رجل العلم يستطيع أن يؤدى للدين مزيدا من الثقة به وذلك بتأكيده لمبدأ عدم تناقض ما وصل اليه العلم مع ما جاء فى الكتاب المنزل الكريم ٠٠

ورجل الدين يقدم لرجل العلم المزيد من المبادىء والمفاهيم التى تحث على البحث والتفكر والتعليم للظاهرات والبرهنة عـلى ما يدور فى حياة الانسان ٠٠

ولعل الاسلام بقرآنه الخالد وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وباجتهاداته المتجددة خير نموذج لتجسيد هذا التكامل ٠٠٠

الحوار الرابع

في لقاء وحوار سابق منذ ثلاث سنوات طرحت أمام الدكتور رشدي فكار قضية الحضارة بين العرب المسلمين وبين الصين (١) وهي قضية مستقبل الحضارة .. وفي أثناء عرضنا للقضية ركزنا على خصائص الصين وكان ضمن ما جاء في الحوار أن الصين ربما تكون وريثة أو مشاركة في ارث الحضارة الحديثة بعد أزمتها الراهنة .. بشرط أن تظل الصين بلا توعكات أو اضطرابات بعد وفاة ماوتسي تونج ...!! لكن التوعك حدث بعد ماو .. والاضطرابات وقعت بالفعل وراحت ضحيتها زوجة الايدولوجي الاول والرائد الاكبر ماو .. وكما هو معروف كانت من بين الاربعة المستبعدين من ميراث الحكم في الصين وقد آل الحكم حتى اشعار آخر الى جماعة عرفوا باعتدالهم أثناء حكم ماوتسي تونج بل منهم من أخذ عليه هذا الاعتدال وراح ضحية له في أيام ماو ...

وأعود الأن لاطرح أمام رشدي فكار موضوع الساعة باعتبار أن الصين ظلت بل ولا تزال بالنسبة للماركسية ترمز الى النقاء الماركسي أو الصفاء العقائدي والتحقيق الامثل للالتزام الماركسي ... وباعتبار أن الصين كانت دائما تأخذ على الاتحاد السوفييتي رجعيته في الفكر الماركسي بل وصفت الاتحاد السوفييتي بالامبريالية تحت شعار الاشتراكية المزيفة ..

---

(١) كتاب مصريون فقط ـ الناشر ـ دار الشعب .

وعندما اتفقت مع الدكتور رشدى فكار على طبع كتابه هذا مع اضافات من الحوار الذى أجريته معه منذ عرفته حتى اليوم بدأت معه هذا الحوار الجديد ⋅⋅ وسألت :

– هل يمكن أن تحدد لنا بوضوح الابعـاد الفكرية لما حدث وما هو حادث الأن للماركسية بين الاتحاد السوفييتى والصين ⋅⋅؟

قال رشدى فكار :

– كما ورد فى كتابى (فى الماركسية والدين) قمت بالتمييز بين نوعين من الماركسية :

النوع الاول : هى الماركسية الجاهزة الماركسية المهندسـة حسب المقاس وهى ماركسـية النظم المطبقـة فى المجتمعات الاشتراكية ⋅⋅

والنوع الثانى : ماركسية الفكر والاجتهاد ⋅⋅

أما النوع الاول ويمكن أن نأخذ كمثال له الاتحاد السوفييتى والصين ⋅⋅

هذا النوع الاول من الماركسية الجاهزة والمهندسـة ينطلق حاليا من مواقف بشرية انتاجية واسـتهلاكية مرتبطة بحاجيات ومعطيات الحياة اليومية ⋅⋅

هذه النظم (فى الاتحاد السوفييتى) تلجأ الى الماركسـية كأيدولوجية تبريرية لا أكثر ولا أقل ⋅⋅

– ما معنى ذلك ؟؟

– معنى ذلك أنه شعار يظهر على واجهة الدولة ويبرر الموقف الذى أملته ظروف الحياة اليومية ومتطلباتها ⋅⋅

وفى هذه الحالة حينما يصبح مجرد أيدولوجيـات تبريريه يكتسى بنوع من المرونة التى تصل به الى درجـة التناقض فيمكن لكل متكلم باسمه أن يكتسى به حسـب هواه ويصف الآخرين

بالردة والتراجع .. و .. و ..

وفى الحقيقة أن الايدولوجيين الذين يعملون تحت شعار هذه الماركسية الجاهزة والمهندسة .. حسب المقاس هم سجناؤها وهم حراس السجن فى نفس الوقت .. .. سجناؤها بمعنى أنه لا حق لهم فى اجتهاد فكرى والا اعتبروا من الخوارج وحكم عليهم بالردة ..

وهم حراس السجن بمعنى أنهم هم الذين قد أعطوا الشرعيه لجهاز الدولة الرهيب لكى يحد من حركة أى فرد فى تفكيره ومواقفه وباسم الماركسية أيضا يستطيعون تعرية المواطن من مضامينه بل ومن مواطنته لمجرد خروجه عن الخط ..

قلت :

ـ والنوع الثانى من الماركسية .. ماركسية الفكر والاجتهاد ..

قال :

ـ يلاحظ الآن بوضوح ظهور هذا النوع من الماركسية .. ماركسية الاجتهاد لدى الشيوعيين فى الدول الاوربية وكمثال فى فرنسا (التوسير وجارودى وبوانتازاس وهنرى ليفير) وأيضا المفكرون الشيوعيون فى ايطاليا وفى أسبانيا ويلاحظ فى الاسابيع الاخيرة (كنا فى أبريل سنة ١٩٧٧) أن هؤلاء استطاعوا أن يفرضوا رأيهم بصراحة ويصبح هذا الرأى هو الرأى الرسمى للاحزاب الشيوعية فى الدول الثلاث فرنسا وايطاليا وأسبانيا

ـ وما هو الرأى . ؟؟

ـ هو حق الاعتراض بل حق الخروج باسم الاجتهاد على ماركسية النظم المهندسة حسب المقاس وبالتالى فقد أصبح واضحا وملموسا ومحققا فعلا ما طرحناه فى الستينات من الانفصام والازمة

بين الاتجاهين .. أحدهما الذى يتكلم باسم التطلع والابتغاء الصناعى والبحث عن الرفاهية والدخول فى منافسة علميه وتكنولوجية مع أمريكا كهدف أسمى وبين ماركسية تلتزم بالفكر وتجتهد فى اطار المعطيات الاساسية للنظرية الماركسية كما طرحها كبار الشراح لها ..

قلت له :

ـ نصل الآن الى قضية الصين والاتحاد السوفييتى .. هل تحدثنى عنها بالتفصيل .

قال :

ـ ممكن أن نقول أن (سيسلوف) الايدولوجى السوفييتى المشهور واجه ماوتسى تونج مما جعل (ماو) يصف الاتجاه السوفييتى بأنه عودة مقنعة الى الامبريالية القيصرية والانغلاق الوطنى ..

ولكن الاتحاد السوفييتى كما هو معروف استمر فى اتجاهاته التى أملتها عليه مصالحه وضروريات الحياة اليومية للمواطن السوفييتى ورفاهيته والارتقاء بها والانتقاء الصناعى والتقدم العلمى .. فتبنى نوعا من الماركسية اللينينية حسب المقاس ولو على حساب التنكر لمعطيات الماركسية الفكرية كحتمية انتصار الكادحين فى العالم ولا تعايش ولا توافق ولا وفاق قبل تحقيق هذا الانتصار كما قالت النظرية الماركسية فالاتحاد السوفييتى بكل موضوعية له كامل الحق فى هذا لان مصالحه الوطنية هى التى تحدد أهدافه كما كان شأنه دائما نقبل التعايش السلمى ثم قبل الوفاق كانت الصين فى عهد ماو تشعر أن التعايش ثم الوفاق قد يحقق لها الكثير بالنسبة للمصالح الوطنية فكان طبيعيا أن

الايدولوجيين الممثلين للالتزام الماركسى يستبعدون بعد رحيل ماوتسى تونج ٠٠ ولو كان الامر يعنى حتى زوجة الرائد الاعظم ٠٠

قلت :

ــ المسألة اذن أصبحت مصالح وطنية واحتياجات الحياة اليومية ولم تعد المسألة هى الماركسية ٠٠

قال :

ــ أن ما وصل اليه قادة الماركسية فى أوربا وفى الاحزاب الثلاثة (الحزب الفرنسى والايطالى والاسبانى) يهدم أحد الاركان الاساسية فى النظرية الماركسية نفسها .. وتعنى به مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا أو الكادحين ٠٠ فكما هو معروف فان الاحزاب الشيوعية الثلاثة المذكورة قد تراجعت عن هذا المبدأ ٠٠ الاساسى فى النظرية ٠٠ ولم تعد ملتزمة به ٠٠٠

ــ كيف ٠٠ ؟

ــ كحل لاوضاعها الوطنية فى مجتمعاتها الاوربية الغربية إذن بعد احلال التعايش السلمى والوفاق وعدم تصدير الثورات بدلا من حتمية الصراع حتى النصر النهائى ولا مهادنة ولا توقف جاء الاحلال الثانى من مفكرى أوربا الماركسيين وهو احلال التكيف مع واقع المجتمعات وطرح الحلول المتزنة بالنسبة للمعايشة والمشاركة فى السلطة بدلا من ديكتاتورية الكادحين !!

ــ وهل هذا مرونة أم ارتداد عن الماركسية ٠ ؟؟

ــ ارتداد أو مرونة هذا مرتبط بموقف المفكر الاساسى ٠٠ قلت أنت ما تشاء ٠٠ مرونة أو ارتداد ٠٠ المسألة فى تطور يومى ٠٠

قلت :

ــ نعود الى الصين ٠٠

قال :

ـ على ضوء هذا العرض أعود الى قضية الصين والاتحاد السوفييتي فأقول ٠٠ أن القضية هى قضية مراحل ٠٠ وأزمنة ٠٠

أى أن الاتحاد السوفييتي عاش مرحلة ما بعد ستالين ٠٠ والصين الآن تعيشها بعد ماو ٠٠ مع الفارق وهو تحكم الاوضاع الاجتماعية والقيمية والبيئية لكل مجتمع ٠٠ ويقينى أن الصين تتكلم الآن بلغة ليست غريبة بل هى لغة العصر ونعنى بها أن الامة أيا كانت حتى تتخذ مكانها فى موكب هذا العصر لا تجعل بضاعتها مجرد شعارات وألفاظ ومضامين كلامية وانما تعتمد على أركان محددة هى معيار التصدر فى هذا القرن حتى اشعار آخر ٠٠

ونعنى بها أركان ثلاثة :

□ العلم كأساس ٠٠

□ التكنولوجيا ـ كمعرفة ـ

□ الصناعة ـ كوسيلة ـ

والاركان الثلاثة تعمل لصالح الأمة والمواطنين لا على حسابهم ان الدول العظمى الآن تنطلق نحو تبنى هذه المبادىء الثلاثة كمواقف ملموسة ثم تطرح الايدولوجيات التبريرية لترضى الجميع على حساب الجميع ٠٠ ولا ترضى أحدا على حساب أحد ٠

وبلا شك فجدير بمفكرى العالم الثالث والعالم العربى بصفة خاصة أن يفهموا هذه الحقيقة وهى أن أجيال الغد لدينا فى بلادنا بدلا من أن تتغلف فى شعارات انفعالية عليها أن تتسلح بهذه الاركان الثلاثة فى جو من الرزانة والوعى بالقضايا الاساسية للمجتمع ٠٠ ومواجهة الاستغلال بلغة علمية أصيلة لا تبرير الاستغلال بما هو أكثر غموضا من الاستغلال فى حد ذاته ٠٠

ـ اذن ما هو الخلاف بين الصين والاتحاد السوفييتى ؟؟

قال :

ـ حسب رايى الآن من حيث جوهر المسيرة وتحت راية الاركان الثلاثة (العلم ـ التكنولوجيا ـ الصناعة) المسيرة واحدة ...

ولكن هناك المصالح الوطنية التى تفرض تناقضات لا يمكن لأى ايدولوجية تبريرية أن تمحيها بعصا موسى بل لا بد من اطار زمنى وتغييرات جذرية من القيادات قد يلعب الموت والعمر دورا فى اذابة جانب منها وتلعب الاحداث فى اذابة ما يبقى بعد ذلك ..

قلت لرشدى فكار :

ـ أعود الى ما سبق أن طرحته عليه منذ عامين من سؤال حول الحضارة ومن يرث حضارة هذا القرن .. نحن أم الصين .. أعود لأسأل ما موقفنا من هذا الارث الحضارى بعدما حدث فى الصين الآن ؟؟

قال :

ـ ثق أنه أصبح من المؤكد الآن وبصورة لا تدعو للشك أنه لا مكان فى مجتمع القرن الحادى والعشرين للدولة القزم .. !!
بل للتكتلات الكبرى ..

والصراع لم يعد صراعا حول الكلمة وانما أصبح صراعا حول السيطرة على الاشياء .. حتى قضية السيطرة على الانسان الآن من أخيه الانسان لم تعد مطروحة كما كانت ..

فسيطرة الانسان على أخيه الآن تأتى عن طريق السيطرة على الاشياء ..

لا يمكن لأمة ليست لها امكانات تمكنها من السير بالاركان الثلاثة (العلم ـ التكنولوجيا ـ الصناعة) نحو الامام أن يكون لها

مكان فى القرن الحادى والعشرين الا كضواحى وهوامش يلقى فيها بفائض الانتاج ويحتفظ فيها بمستودعات الاســــتهلاك لا أكثر ولا أقل ..

وهنا نقول لأمتنا العربية .. أن الامة العربية مطالبة اليوم أكثر من أى وقت مضى بأن تشكل قوة بين التكتلات الكبرى تضمن لها أن تؤهل نفسها للمساهمة فى وراثة الحضارة ...

فالصين لا أعتقد مع اختفاء ماوتسى تونج قد اهتــــزت أو تراجعت بل بكل بساطة تجاوزت مرحلة الى مرحلة أخرى .. فى هذا المسار .. نحو وراثة الحضارة !!

وخاصة بعد أن شعرت أن الاتحاد الســـــــوفييتى فتحت شهيته ...

ان الذى سوف يحدث فى العالم منذ الآن ليس الصراع حول المبادىء بل تنافس حول الاركان الثلاثة التى ذكرتهــا بين أمريكا وروسيا والصين ..

وعلى ضوء هذا كله فان الأمة العربية الاســـلامية عليها أن تسرع بتجاوز تناقضاتها النوعية وصراعاتها الوظيفية لانها ليست صراعات عضوية فتلتقى كما كان شأنها فى الماضى على الاقل تحت راية واحدة هى راية ــ الله ــ ولم لا .. ؟؟

ثم عليها خلق الأرضية المرنة التى تسمح بامتصـــاص كل ما يواجهها من تناقضات لتصبح أمة كبرى .. بل خير أمة أخرجت للناس ..

صدر من مختارات التعاون العالمية

- مكافحة الفقر فى الريف
- دراسات وقضايا اقتصادية
- جاسوس فوق البحر الأحمر

تحت الطبع

- السلام الصعب
- كيف ينجح رجال الاعمال
- الانسان والخطر
- مذكرات جولدا مائير

الترقيم الدولى ٤ ـ ٣٧ ـ ٧٢٥٢ ـ ١٩٧٧

رقم الايداع ١٩٧٨/٥٣٤٠

« طبعت بمطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر »

مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

قرشاً